المقتطف

الجزء الخامس من المجلد السادس بعد المائة

١ مايو سنة ١٩٤٥ ١٩ جماد أول سنة ١٣٦٤

المشكلة الاقتصادية الكبرى

في التسوية العالمية بعد الحرب

سوف تخرج قارة اوربا ، من محنة الحرب العالمية الثانية ، وقد تصدَّعت أركان حياتها الاقتصادية . فليس في التاريخ ذكر حرب خلفت وراءها من الدمار ما خلفته هذه الحرب في أوربا . فأسباب المواصلات ممزقة ، ولقد تجد الفحم وخامات الصناعة فلا تستطيع أن تنقلها إلى المصانع . وقد ترى منتجات المصانع ومقادير الطعام مكدسة فلا تستطيع أن توصلها الى المستهلكين . والمصانع نفسها أنقاض . وكذلك محطات توليد الطاقة المحركة والمضيئة والجسور ومنشآت المرافىء ، وجانب كبير من الأراضي الزراعية ، تركتها الحرب كالقفر اليباب ، والناس أنهكتهم الحرب وأجاعتهم وأمرضتهم . فتعمير أوربا أمرٌ لا مفرَّ منه منعاً للفوضى أن تعصف بشعوبها . وتعميرها يجب أن يخضع — في رأي ثقات المفكرين — لقاعدتين . أما الأولى : فأن يكون التعمير ملازماً ومؤيداً للتنظيم السياسي والحربي ، الذي غرضه أن يحول دون قيام قوة المانيا الحربية مرة أخرى ، وأما الثانية : فأن يكون أساساً يصلح لانتعاش الحياة الاقتصادية انتعاشاً يتيح لشعوب اوربا أن ترفع مستوى معيشتها رفعاً مطرداً ، ويضمن لها رخاء العيش ورضى النفس .

والقاعدتان متلازمتان ، لا ترجح إحداهما الأخرى . فان لم تحقق القاعدة الأولى لم تطمئن النفوس الى سلامتها ، ولا انتعاش اقتصادي بغير هذا الاطمئنان . وان لم تحقق الثانية ، تأصلت القوى الاجتماعية التي تنخر في جذور الحياة الدولية وتمهد للحرب .

فالضائقة الاقتصادية من ناحية ، وعدم الاطمئنان إلى أسباب العيش ، هما خير تربة تنبت فيها بذور الحرب . وسوف ينتهي احتلال المانيا العسكري يوماً ما ، ويومئذٍ يتقلد الألمان زمام أمرهم ، ولكن هذا لا يحتمل أن يتم ، ولا يقدَّر له النجاح بعد أن يتم ، إلاّ إذا قام في أوربا بناء اقتصادي سياسي ، سليم مستقر ، يستطيع الشعب الألماني ، أن ينطوي فيه انطواء رضى ومشاركة . وليس الخطر في أوربا قاصراً على خطر انبعاث القوة الألمانية وحسب ، لأنهُ إذا تعطل ملايين عن العمل ، وأخذت الضائقة بخناق الملايين من الناس ، فلا بد أن تعمد أمة ما ، أو مجموعة من الأمم إلى أن تطلب الخلاص من طريق الحرب . فناحية الانشاء في التسوية الأوربية لها من خطر الشأن ما لناحية الأمن وصونه بالقوة .

وقد انحصر جانب من البحث ، في الوسائل الاقتصادية اللازمة ، للقضاء على أصول قدرة المانيا الحربية . واختلفت المقترحات ، من تدمير الصناعة الألمانية ، إلى تجزئة المانيا في الناحية الواحدة ، الى الحد من بعض صناعاتها التي لا بدَّ منها لشن الحرب . ومعظم هذه المقترحات ، لا يقوم على أصول من الواقع المعروف ، أو المستقبل المأمول .

ففي المقترحات ، المسندة الى مورجنتاو ، وزير مالية الولايات المتحدة ، يتلخص الرأي في القضاء على المانيا من حيث هي أمة صناعية . وهذا الرأي إذا صحَّ وتمَّ ، يعني أن يزداد عدد الذين يعيشون على الزراعة في المانيا ، من خُمس الشعب الى نصفه ؛ فترجع المانيا القهقرى الى ما كانت عليه منذ قرن ، حين كان عدد سكانها نصف ما هو الآن ، ويهبط مستوى العيش فيها . وأما مقترح تجزئة المانيا ، دويلات دويلات ، فلا يشجع على الأخذ به ، ما صارت اليه الدويلات التي قامت على أنقاض دولة هبسبرج في أعقاب الحرب العالمية الأولى . وأجزاء المانيا أكثر اتكالاً وتعويلاً بعضها على بعض ، وأوثق صلة بعضها ببعض مما كانت أجزاء دولة هبسبرج . وإذا نحن بينا وجوه الضعف في هذه المقترحات ، فان ما نبينه لا يمنع في حال من الأحوال ، تنفيذ هذه الخطة أو تلك ، إذا حزم الحلفاء أمرهم وتوسلوا بالشدة اللازمة . ولكنهم اذا فعلوا فيغلب على الرأي أن الاقتصاد الأوربي يتدهور ، والخاسر في تدهوره ، ليس الشعب الألماني وحسب ، بل العالم قاطبة .

وأما المقترحات الخاصة بالقضاء على طائفة دون غيرها من الصناعات الألمانية ، فإنفاذها ليس بالأمر الميسَّر . فهي قائمة على رأي خاطئ ، مؤداهُ أن في الدولة الصناعية الكبيرة — كألمانيا — أجزاءً من نظامها الاقتصادي ، لازمة للحرب ، كصناعة أدوات الصناعة ، وكرَّات المحاور والنتروجين المثبت اللازم للمتفجرات ، والزيت الصناعي والمطاط الصناعي

وغيرها ، والرأي انهُ إذا قضي على هـذه الصناعات قضاء الأبد ، فان ألمانيا تفقد قدرتها على شنّ الحرب .

وليس ثمة ريب ، في أن الدول المنتظمة في الهيئة العالمية الجديدة ، تستطيع أن تدمّر المصانع التي تخصصت في صناعة السلاح والذخيرة ، ويغلب على الظن أن هذا ضروريٌّ لكي تتاح فرصةٌ يبنى فيها العالمَ بناءً جديداً ، وفي مقترحات دمبرتون أوكس نصٌّ على هيئةٍ تشرف على هـذا العمل . وقد يستغرب القارىء اذا عرف أن هذه الطائفة من المصانع الألمانية ، جزءٌ قليلٌ من الصناعة الألمانية ، وأن منزلتها في قدرة ألمانيا الحربية ، ليست بالمنزلة الأولى . فالأصول التي تنهض عليها قدرة أمةٍ ما على شنّ الحرب ، هي صناعاتها الهندسية والكيميائية ، وعمالها المدرَّبون الحاذقون ، ومنشآت البحث العلمي والصناعي ، وطوائف الفنيين والمديرين . وقليلٌ من كل هذا ، يدخل في نطاق المصانع المتخصصة في صنع السلاح . فالجانب الأكبر من ذخيرة الحرب ، يصنع في أثناء الحرب ، في المصانع الهندسية والكيميائية العادية ، بعد توسيع نطاقها وضمّ ألوف من الرجال والنساء إلى عمالها المدرّبين. والحرب الحديثة ، تقتضي أن يكون جانبٌ كبيرٌ مما يحتاج اليه الجيش ، مؤلفاً من سيارات وقاطرات وأجهزة لاسلكية ومسالف وجرّارات ، وهي مما يصنع في مصانع لا تعدُّ في أيام السلم مصانع حربية ، مهما يبلغ منك التطرّف في التحديد والتعريف . وأجهزة الرادار ، التي تعدّ من أهم المعدّات الحربية ، تصنع في مصانع الراديو ، وأجهزة الطائرات في مصانع السيارات والطائرات التي تصنع للسلم .

فالقدرة الحربية تزداد صلتها توثقاً على الأيام بالانتاج الهندسي والكيميائي في أثناء السلم، وقد يشقّ على الظافر في الحرب ، أن يتخيَّر من شبكة هذا الانتاج موقعاً بعينه ويحكم بالقضاء عليه . فالقضاء على قدرة ألمانيا الحربية يعني القضاءَ على جانبٍ كبير من صناعاتها الهندسية والكيميائية . ثم الحيلولة الدائمة دون بنائها . لأنهُ إذا لم تكن الحيلولة دائمة ، فالقدرة الحربية الألمانية تنهض حين تنهض على صناعةٍ أجدّ وأكثر اتقاناً ومسايرة لتقدم العلم وأساليب الصناعة . فالقول بوجوب تدمير أصول الصناعة الحربية الألمانية ، يقتضي أن يكون التدمير شاملاً أو دائماً لكي يكون فعّالاً .

ولما كانت القدرة الحربية والإنتاج الهندسي والكيميائي في زمن السلم ، يكادان يكونان شيئاً واحداً ، كانت مشكلة تعمير أوربا الاقتصادي على قاعدتين من تقليم أظافر الالمانية الحربية وتوفير الرخاء للقارة الأوربية ، مشكلة معقدة . وقد كانت ألمانيا ، حتى قبل أن نشبت الحرب ، متفوّقة على سائر أوربا في قدرتها الصناعية . فسكان ألمانيا لا يزيدون

على خمس سكان القارة غرب روسيا ، ومع ذلك كانوا ينتجون ٦٠ في المئة من فحم أوربا ونصف حديدها الصب وصلبها ، وأكثر من نصف ألومينومها و ٤٠ في المئة من أسمدتها وثلث حمضها الكبريتيك ، وكانت لها منزلة متفوقة في إنتاج الأجهزة الكهربية ، والآلات وأدوات الصناعة والقاطرات والأجهزة العلمية والبصرية وغيرها . وما يصدق على المنتجات يصدق على المصانع والمنتجين والمديرين . وقد كانت فرنسا تنافس المانيا في صناعة السيارات، والسويد في صناعة كرات المحاور ، وسويسرا في صناعة الساعات ، ولكن دول القارة الأوربية مجتمعة لم تكن تجاري المانيا في عدد منتجاتها الهندسية والكيمائية ولا في مقدارها وكذلك أصبحت حياة أوربا الاقتصادية مرتبطة أوثق ارتباط بالمانيا ، من ناحية الاتجار معها ، ومن ناحية الجماعات الصناعية التي كان للشركات الألمانية الكبيرة ، سهم كبير فيها وكلمة عالية .

فلما نشبت الحرب وانقادت الانتصارات الحربية للجيوش الالمانية في عهدها الأول ، عمد حكام المانيا ، إلى خطة قوامها أن تصبح أوربا وحدة اقتصادية فتكون المانيا قلبها الصناعي ، وتكون سائر البلاد الأوربية مناطق زراعة وصناعة صغيرة . ولكن اتساع نطاق الهجوم الجوّي البريطاني أولاً ثم البريطاني الاميركي ، جعل تفريق الصناعات الالمانية أمراً لا مفرّ منهُ ، فعدل حكام المانيا عن الخطة الأولى ، وجعلوا يوسعون نطاق الصناعة في شرق أوربا ، ليجعلوها بعيدة عن القاذفات الحليفة . وقد تمَّ هذا التوسيع تحت إشراف شركاتهم الصناعية الكبيرة ، مثل مصانع هرمان جورنج ، وراينمتال، وفارين وغيرها ، ولم تراع فيه ، الحدود الجغرافية والسياسية ، فأصبحت الصناعة الأوربية مع تفريقها وحدة كبيرة ، وكانت تصنع أجزاءٌ في فرنسا وأخرى في بولندة أو سلوفاكيا ، ثم تجمَّع وتبنى منها الآلات الكاملة — دبابات أو طائرات او غيرها — في مكان ما بالمانيا ، وكانت لألمانية سيطرة تامة عليها من كلّ ناحية . وكذلك تمَّت سيطرة المانيا على الصناعة الاوربية .

ومن هنا منشأ المشكلة .

ان تعمير القارة الأوربية تعميراً اقتصاديًّا ، يقتضي تياراً مستمرًّا من شتّى المنتجات الهندسية والكيميائية ويقتضي كذلك تنظيم شؤونها الاقتصادية على نطاق أوربي ، وتطبيق أحدث وسائل الإدارة لخفض النفقات العامة ، ومنع مضاعفة الجهد . فإذا أخفق تعمير أوربا وتجديد حياتها الاقتصادية ، وانحدرت إلى وهاد التخبُّط وضعف الكفاية والمنافسة السخيفة ، صارت أوربا قرحةً كبيرة في جسم العالم الاقتصادي . ولما كانت المانيا سابقة سائر البلاد الاوربية في شؤون الصناعة وتنظيمها وتدبيرها ، فكيف يستطاع أن يتم

تعمير أوربا تعميراً اقتصادياً على القواعد التي تقدم ذكرها ، دون أن يفضي ذلك نهوض قدرة المانيا الحربية مرة أخرى وعودتها سريعاً الى السيطرة على حياة أوربا الاقتصادية .

هذه هي المشكلة الاقتصادية الكبرى في التسوية العالمية التي تلي الحرب .

***

من الواضح أن هذا التعمير ، يجعل أوربا في حاجة الى المنتجات الصناعية زمناً طويلاً . ومن الواضح كذلك أن الألمان أقدر أمم أوربا على صنع هذه المنتجات ، ولكن السماح لهم بأن يفعلوا يثير مسائل سياسية بعيدة المدى . لأنه اذا سمح لألمانيا أن توفر لأوربا هذه المنتجات ، كان من المتعذر أن تفرض على أصول القدرة الحربية الألمانية ، قيود دقيقة زمناً طويلاً ، وأن تسد على المانيا طريق العودة الى السيطرة على حياة اوربا الاقتصادية . والأمران كلاهما — نهوض قدرتها الحربية ، وسيطرتها على الاقتصاد الاوربي — من الأمور التي يريد الحلفاء أن يمنعوها منعاً باتاً . ومعظم الذين كتبوا في هذا الموضوع يتجاهلون هذه المشكلة ، ويقترحون مقترحات شتى للقضاء على الصناعة الألمانية مع أن هذا القضاء لا يفضي الى الفاقة في المانيا وحسب، بل الى الفاقة في أوربا أيضاً . وإذن فلا مفر من البحث عن حل آخر يقيم الوزن الكافي للحقائق الاقتصادية دون أن ينطوي على لين وعطف في معاملة الألمان.

وقد عرضت جريدة التيمس رأياً في هذا الصدد . فهي تقترح أن تعان دول أوربا الأخرى ، على رفع قدرتها الصناعية والفنية ، فيفضي ذلك إلى لون من الاستقرار في حياة أوربا الاقتصادية ويغري بالتعاون ، ويمهد لرفع مستوى العيش في القارة كلّها . وهو في الوقت نفسه موائم للضرورات الحربية . فالاعتراض على تدمير الصناعة الألمانية ، يرجع إلى أنّ معظم الصناعات في زمن السلم هي أساس للصناعة الحربية في زمن الحرب . فتدميرها يفقر المانيا وأوربا ، ويعوق تعمير أوربا الاقتصادي ويجعل شعوب أوربا في حدود الفاقة. وبقاؤها يحفظ الأصول التي يمكن أن تنبعث منها قدرة المانيا الحربية مرة أخرى . وإذن فيحسن أن تعزّز الصناعات في سائر بلاد القارّة ، حتى تكون من ناحية أساساً للتعمير ورفع مستوى العيش ، ومن ناحية أخرى قواعد للقدرة الحربية توازن قدرة ألمانيا إن لزم الأمر . ولو كانت بولندة ودول الاتفاق الصغير ، تنتج اثنى عشر مليوناً من الصلب ، في سنة ١٩٣٨ بدلاً من أربعة ملايين وحسب ، فلربما كان الألمان راجعوا أنفسهم مراراً قبل إقدامهم على أعمال الاعتداء .

ولذلك تقترح التيمس ، أن تجري الدول المتحدة ، في مواجهة هذه المشكلة ، على خطة ذات شعبتين . أما الأولى : فنزع سلاح المانيا نزعاً دائماً ، ويدخل في هذا القضاء على طائفة

الصناعات المتخصصة في الانتاج الحربي، كالزيت الصناعي والطائرات الحربية والمدافع والدبابات والصواريخ وكرّات المحاور وما أشبه، وأن تكون الرقابة الحليفة بالغة الدقة في تنفيذ هذا. وأما الثانية: فبذل العون لدول أوربا الغربية والجنوبية والجنوبية الشرقية، لتعزيز قدرتها الصناعية. فهذه الدول تملك من اليد العاملة، ما يكفل لها إن عززت صناعتها واستطاعت أن تتماسك تماسكاً سياسياً، أن تمنع قيام خطر المانيا الحربية، ولو سمح لألمانيا بأن تحتفظ بصناعتها الهندسية والكيميائية لكي تعين الشعب الألماني على العيش ولكي تساهم في بناء أوربا الصناعي.

إن تعزيز القدرة الصناعية زمن السلم في دول أوربا التي لم تبلغ مبلغاً يذكر من التقدم الصناعي، يضمن أن يكون التعمير الاقتصادي ملازماً ومؤيداً للتنظيم السياسي الحربيّ في أوربا بعد الحرب، وأساساً يصلح لانتعاش الحياة الاقتصادية، في أوربا وتوسيع نطاقها ورفع مستوى معيشتها، حتى لا يكون الفقر والعوز فيها والتعطل عن العمل تربةً تنبت فيها بذور الحرب.

ولكن تعزيز القدرة الصناعية في الدول الاوربية غير الألمانية، يطوي في ثناياه خطراً عظيماً، ذلك بأن الألمان قد يحسنون العمل السياسي والاقتصادي فينشئون صلة وثيقة بينهم وبين هذه الشعوب، بما يحتمل أن يكون لهم من شأن في تعمير هذه الدول، فيفيق العالم ذات صباح ليرى المانيا، مسيطرةً على دول، بذل العالم ما بذل في تعزيز قدرتها الصناعية، فتكون الطامّة أعظم يومئذٍ. ولاتقاء هذا الخطر، لا بدّ في نظر التيمس من أمرين أما الأول: فأن تشارك بريطانيا والولايات المتحدة في هذا التعمير، عن طريق البنك الدولي للتعمير والتحسين، فتكون المانيا إحدى الدول الصناعية وحسب التي تشارك في هذا التعمير. وأما الثاني: فأن تبقى بريطانيا والولايات المتحدة وروسيا على يقظة وحذر دائمين. واذا جعلت مشروعات التعمير، جزءاً من خطة اقتصادية حربية منسّقة تتخذها الدول المتحدة، كان اجتناب هذا الخطر أيسر.

ولكن «اليسر» ليس مطلق المعنى. فاليسر، يقتضي تعاوناً طويل الأمد في مراقبة المانيا والدول التي يُبذل لها العون، فاذا كان ذلك مستطاعاً فهذه الخطة أهدى إلى حلّ هذه المشكلة المعقدة، من مجرّد القضاء على قدرة المانيا الصناعية، لأن في هذا القضاء نقضاً لما تتوخاه الدول المتحدة، ولما يقضي به العقل، من تجديد حياة أوربا الاقتصادية وتوسيع نطاقها وتوفير الأسباب التي تضمن لشعوبها الأمن من الفاقة.

فؤاد صروف

الخبز

الخبز عماد الحياة لو صنعناه من القمحة كاملة كما أراده الله سبحانه ، ألف لنا غذاء مفيداً نافعاً.

ومطحون القمح بجميع أجزائه يتكون من الدقيق الأبيض ومن النخالة ، وهذه تتركب من دقائق خشنة سمراء اللون ، هي أغلفة القمح ، ومن دقائق أخرى دهنية الملمس مائلة الى الصفرة الشاحبة وهذه هي أجنة الحبوب .

والدقيق الأبيض لا يحتوي إلا على مادة نشوية نقية تتركب من الكربون والايدروجين والاوكسجين .

وأما النخالة فهي تتركب من الفيتامينات وبعض المركبات الهلامية الغرائية والفسفور والحديد والكلسيوم والسليكون واليود والنتروجين والكبريت والبوتاسيوم والمنجنيز .

وأنت اذا عرفت أن الفيتامينات تقيك شر الاصابة بأمراض عديدة مختلفة ، وان الفسفور يقوي أعصابك ، والحديد يمنع فقر الدم ، والكلسيوم يقوي العظام ، والأسنان والغضاريف ، ويحافظ على قلوية الدم ، والسليكون يمنع الصلع وسقوط الشعر ، واليود يغذي الغدد ، والنتروجين والكبريت ينميان الأنسجة ، والبوتاسيوم والمنجنيز من العناصر اللازمة لعمليات الجسم ووظائفه البيولوجية والفسيولوجية ، إذا عرفت كل هذا تألمت كثيراً من أن المدنية قدمت لك خبزها المصنوع من الدقيق الأبيض النقي الخالص غذاء تافهاً ، وفي الوقت نفسه سلبتك كل هذه العناصر الغذائية النافعة .

والنخالة التي نعاف أن نكمل بها دقيق خبزنا والتي نرميها للدواب والماشية ، كان يقول النبي صلوات الله عليه لكل من أتاه مريضاً « عليك بالبغيض النافع » وهذا البغيض النافع ما هو إلا نخالة مخلوطة بعسل النحل .

ومن خصائص نخالة القمح ان لها قدرة على امتصاص كميات كبيرة من الماء فتمنع تيبس الكتلة الغذائية في أثناء مرورها في الأمعاء ، وتساعد على انزلاق البراز الى الخارج فلا يحدث الامساك الذي يتسبب عادة من تناول الخبز المصنوع من الدقيق الابيض النقي .

ويتبين مما تقدم أن الخبز الكامل المصنوع من القمح بنخالته من سن وردة وغيرهما يحوي جميع العناصر الغذائية الضرورية لحفظ صحة الانسان من الامراض التي تتسبب عن نقص الفيتامينات — ومن أمراض الاسنان والامساك والاملاح والروماتزم والبول السكري وفقر الدم .

لذلك لا تشغل بالك أن الحرب قد فرضت أكل خبز قريب بعض الشيء من الخبز الكامل — بل عود نفسك من الآن أكل الخبز الكامل في أيام الحرب والسلم معاً .

واعلم أن الخبز الابيض آفة المدنية وان الخبز الاسمر الكامل رسول الصحة .

وإذا أكلت الخبز فامضغه جيداً حتى يصير كالماء في فمك ، ومعنى هذا إنه قد اختلط بأكبر كمية ممكنة من اللعاب الذي يهضم المادة النشوية الموجودة بالخبز .

وكل الخبز مرة واحدة في اليوم ولا تأكله مع المواد البروتينية كاللحمة والفول وانما كله مع المواد الدهنية كالزبد أو المواد السكرية كالعسل الأسود وكله أيضاً مع الخضروات على اختلاف أنواعها مطبوخة أو غير مطبوخة كالسلاطة مثلا .

وأحسن الخبز ما كان مقدداً لأن نشاه يتحول الى مادة تسمى « ديكسترين » وهذه أسهل هضماً من النشا .

ان الخبز الذي أزحت لك عنه غيوم المدنية الكاذبة هو الخبز الأول الهام الذي يحفظ عليك صحتك . صمم من بعد قراءة هذه السطور القليلة المتواضعة أن يكون الخبز الكامل رغيفك اليومي .

فهمي عطا الله

إذا ..

للشاعر الانكليزي الكبير رديارد كبلنج

« في عدد قديم من المقتطف الاغر قرأت الترجمة النثرية لهذه القصيدة وقد حاولت إذ ذاك أن أنظمها شعراً عربياً ، فكانت هذه الابيات »

إذا استطعتَ ـ دواماً ـ أن تكون على   رباطة الجأش ، حين الكل يضطربُ
وكنتَ ذا ثقةٍ بالنفس تملؤها   عزماً ، على حين تجري حولك الريبُ
وكنتَ تطمحُ .. لكن ليس يجعلك الطموح عبداً لنأيٍ منه تنتحبُ
وكنت تعن في الأفكار تجعلها   لا غايةً لنجاح ، بل هي السببُ !
وكنت تقدر في فوزٍ وفي فشلٍ   بأن يجدد منك السعي والدأب
وكنت لست الذي يخشى مخاطرةً   بكل أمرٍ إذا ما استوجب الطلبُ
وكنت تقدم للأهوال معتقداً   أن التفوق بالاقدام يكتسبُ
وكنت فرداً وديعاً في كياسته   مماشياً بكل قوم بالذي يجب ...
لدى الجماهير لا تأبى مسايرةً   مع التحفظ كي لا يعكس الأرب
وفي مصاحبة (الأقيال) ذا أدبٍ   لا يستخفك اسفافٌ ولا لعبُ
وكنتَ لستَ بهيَّابٍ ولا وجلٍ   وليس يثنيه عن غاياته تعبُ
تأبى البطالة إحساساً بذلتها   وتملأ الوقت فعلاً منك يُرتقبُ
إذا استطعت لهذا ... يا ابن بجدته   فليس تعوزك المصقولة القضُبُ
فأنت أنت الفتى السامي بعزته   فوق السماك اليه ترمق الشهبُ
وأنت أنت الذي تأتي الحياة له   بكل ما يتمنى السادة النجبُ
لك التفوق في الأحياء قاطبةً   ، لك النجاح ، لك العلياء والحسبُ

مكة :

محمد سعيد العامودى

عالم المجهول

> كما ان الشبح المنعكس من عدسة زجاجية على حائط ليس سوى صورة مكبرة من ذلك الشبح الكائن في العدسة ، كذلك النظريات الخاصة بهذا العالم ، ليست سوى صور مكبرة من نظريات العقل الانساني ، تسبك عادة على نماذج تستمد من تجاربنا الذاتية
>
> كروزيار

لا نشك في اننا اذا انكرنا العالم المجهول ، نكون قد بعدنا جهد البعد عن أسلوب العلم نفسه . فان العلم لم يحط بكل شيء ، وميدانه محدود بالظاهرات المحسوسة دون الماهيات . فعالم الماهيات برمته عالم مجهول ، ولا يدعي العلم ان في مستطاعه ان يكشف سر الماهيات بطرقه المعروفة . وما دام العلم قاصراً عن ذلك ، فان من الطبيعي عند الذين يعرفون حدود العلم ، ويؤمنون بقصوره عن ادراك الماهيات ، وحتى عن تعليل جميع الظاهرات ، أن يعترفوا بأن أشياء العالم المجهول لا ينبغي ان ترفض لأول وهلة ، لأن العلم لا يتناولها بأسلوبه ، أو لأنها بعيدة عن أسلوب العلم .

ان نزعة العلم — Science — وطريقته ووجهة نظره ، وعلى الجملة كل ما يقع تحت مفهوم العلم من أشياء العقل البشري ، شيء حادث من مكتشفات الأعصر الحديثة . بل اننا لا نبالغ اذا قلنا مع القائلين بأن تحديد طريقة العلم ووضعها على قواعد خاصة ثابتة ، كان أبلغ أثراً وأعمق فائدة للانسان من أعظم المستكشفات الحديثة جميعاً ، اذ باستكشافها ، لم تعد قضايا العقل الانساني وكفاياته ، تتخالط ذلك التخالط الذي ظهر جليًّا واضحاً في صفحات التاريخ طوال العصور الأولى .

مما لا مشاحة فيه ان جنوح العقل الى التساؤل عن حقيقة الأشياء ومصادرها ، وحوادث الكون وظاهرات الطبيعة ، كان في الواقع أول الضرورات الجوهرية التي أفضت بالانسان منذ أبعد العصور الى البحث وراء الحقيقة . فالانسان الأول عند ما نزع به الفكر الى تصوير نظرياته الروحانية التي كان يعلل بها حقائق هذا الوجود ، لم يضع البزرة الأولى للدين وحده ، بل غرس مبادىء العلم وقضايا الفلسفة .

فالأساطير والخرافات ، قد تضمنت من العلم بزوراً ، كما حوت من الدين مبادىء . غير

ان العلم قد احتاج الى عصور متطاولة وموغلة في القدم، حتى أصبح له وجود مستقلٌ بذاته. فان نزعة العقل الى البحث ، ان كانت قد صورت منذ القدم مختلف صور الأديان ونظمت مبادىء الفلسفة الأولية ، فان العلم لم ينفصل عن الفلسفة ولم تفرق كفايات العقل بين قضايا الفلسفة ومبادىء العلم ونظرياته ، الاّ منذ عهد قريب .

إن كل الباحثين في تاريخ الفكر الانساني يعتقدون بحق ان فرنسيس باكون أول من وضع للعلم حدوداً فصلته عن الفلسفة . وذيوع « منطقه الحديث » يعد أول عهد العلم بالوجود المستقل . أما ما ندعوه اليوم « الاستكشاف العلمي » الراجع الى العكوف على درس الطبيعة ، فقد أدى بباكون الى القول بأن الطريقة المثلى التي يجب ان نمضي عليها في حل مشكلات الحياة ومسائلها ، هي الطريقة العملية المعارضة للطريقة الفلسفية ، التي ذاعت في القرون الوسطى ، وكانت تعمد الى المناقشات الكلامية ، والعلم الضروري .

ان من أخص ما نحتاج اليه في هذا الموطن أن نظهر الفرق بين نزعة العلم ونزعة الدين والفلسفة . أما الدين والفلسفة فنزعتهما ذاتية Subjective محدودة ، في انها تنسب ، أو تحاول ان تنسب ، قيمة ذاتية خاصة لحادثات الحياة وظواهرها ، وهي في أهم وجوهها عبارة عن معرفة الوجود بشكل عام مطلق مستمد من الرغبات والضرورات الراجعة الى الشعور أو الوعي الكامن ، والى روح الانسان اذ ترتد الى النظر في حياتها الداخلية أكثر من نظرها في عالم الطبيعة الخارجي . أما نزعة العلم فيقرر العلماء بأنها غير ذاتية ، بل موضوعية Objective عامة . والعلم ان كان في حقيقة وجوده ومرجعه ، وبحكم العقل الانساني ازاء الكون ، ذاتي كالدين والفلسفة ، الاّ ان موضوعية العلم تنحصر في انه ينظر في عالم الطبيعة الخارجي ، أكثر من نظره في طبيعة الروح المستترة المختفية وراء الظواهر المرئية .

يصل الدين كما تصل الفلسفة الى العالم المنظور مزودان بمطالب يحاولان من طريقها ان يخلقا جوًّا ملائماً لمجموعة من الرغبات والانفعالات الخاصة . أما العلم فيظهر خلوًّا من كل شيء ولا يصل الى العالم، الاّ ليعرف الكون من طريق النظر في طبيعته . يترك العلم الطبيعة حرة في أن تلقي في روع كل بشر سرها وروايتها بلغتها الخفية . أما الدين والفلسفة فلا ترضيان للطبيعة أن تتكلم بلغتها ، فيضعان لها لغة ، وينتحيان لها أسلوباً من البلاغة مخالفاً لبلاغتها ، يرجع في كل الحالات الى استيفاء أغراضه الأولية ، لا الى الترجمة عن حقائق الكون كما تريد الطبيعة ان تلقيها في روعنا .

ولعلهُ يكفينا في هذا البحث أن نعرف مما سبق القول فيه اننا لا نقصد بالعلم إلاّ كل ما خرج عن حيز الآداب والفن والدين والفلسفة . بحيث يكون ذا قواعد راهنة لا يتناولها

التغيير والتبديل . ولا شك عندي ان من أعظم ما كشف للعقل عنه في الأعصر الحديثة ، لا طريقة العلم ، ولكن تيَقُّن أهل العلم بأن للعلم حدوداً يقف عندها . فان هذا الكشف قد جعل العلم يترك ادعاءه بحق التفرد بالوجود والتسلط وحده على كفايات العقل البشري ، إذ بان لأهله أن وظيفة العلم تنحصر في « وصف » حقائق الكون ، لأن العلم يتناول معرفة الظاهرات وآثارها وعلاقة بعضها ببعض ، وان وظيفته بعيدة عن « تفسير » الماهيات . بذلك نامت عاصفة العلم وانتصرت الطبيعة البشرية على نزعات الوهم التي سادتها زمناً ، وتحددت المعارف الانسانية بحسب كفايات العقل ، فترك للدين والفلسفة سلطانهما ، وحُدِّد للعلم حيزه .

ولكنَّ هنالك بعضاً من الذين لم يهتدوا بعد إلى تحديد كفايات العقل ، مَنْ يزالون ينكرون بأن هذه العاصفة ، عاصفة العلم ، قد نامت ، ولا يزالون يريدون أن يخضعوا طبيعة العقل إلى ناحية واحدة ، ناحية العلم الموضوعية ، مستبدِّين غير محرَّرين من فورة القول بأن العلم هو الجدير وحده بأن يتبناه العقل .

أما هؤلاء فينكرون « العالم المجهول » ويقولون لا « مجهول » في عالم العلم ولا في عالم العقل. وهؤلاء نضع أمامهم ست مسائل من مئات المسائل ، ونتحداهم أن يثبتوا لنا انها لا تدخل في عالم المجهول، وان العلم يمكنهُ أن يفسرها بطرقه المعروفة . فاذا استطاعوا فليس هنالك عالم مجهول ، وإذا عجزوا ، كان اعترافهم بالعجز ، اعترافاً بأن عالم المجهول أرحب وأوسع من عالم المعلوم ، واستتبع ذلك الاعتراف بحقيقة أخرى هي ان كل خطوة يخطوها العلم نحو معرفة شيء من عالم المجهول، إن ضيقت شيئاً مَّا من أفق الجهل، فانها تزيد كثيراً من آفاق المجهولات .

١ — المسألة الأولى : الاعتقاد بوجود عالم خارج عن حيزك .

خذ مثلاً التكأة التي تكتب عليها . كيف تعرف أنها خارجة عن حيزك ؟ إذا نظرت اليها أو لمستها أو وقعت تحت حسك بحال من الأحوال ، فكل ما في مستطاعك أن تعرف منها ليس سوى مدركات حواس مختلفة موجودة فيك ، وليست خارجة عن حيزك . لا في لونها أو صورتها ، بل أيضاً في صلابتها وقوتها . والدليل على ذلك أن فقد أعصاب البصر يمنع عليك أن تراها . وان فقد أعصاب اللمس يمنع عليك أن تحس بها . وان فقد الحواس جميعها يمنع عليك أن تدرك أن لها وجوداً البتة . ذلك في حين انه وان لم يكن في مستطاعك أن تعرف من وجود تلك التكأة « علميًّا » إلاّ إحساسات كائنة في حيزك ، إلاّ أن تركيب عقلك قد وضع على نظام يحملك على الاعتقاد بأنها كائنة في حيز خارج عنك . فاذا اعتقدت

بما يخالف ذلك ، وأخذت تؤدي عملك بما يوحي اليك به اعتقادك هذا ، كان ذلك دليلاً على ان ميزان العقل قد اختلّ وتفككت ألفته .

٢ — المسألة الثانية : وجود ذلك الشيء الذي ندعوه العقل في ذوات من البشر غير ذواتنا .

كيف أستطيع أن أعرف أن صديقي الذي يماشيني يحوز شيئاً يقال له العقل ؟ اني لا أستطيع أن أراه أو أحس به أو أتناوله بتجربة اتخذ مجهر الطبيب أو مشرط الجراح أو مجهزات الكيماوي ، أداة لها . فاذا كان معتقدي في عقل صاحبي يعود إلى مقدار ما أستطيع أن أعرف منهُ علمياً ، لما استطعت أن أعتقد في وجوده مطلقاً ، لأن مفخرة العلم ادعاؤه بأن كل مستنتجاته من المستطاع أن توضع تحت حكم الحواس . فان وجود العقل في صاحبي كوجود « واجب الوجود » : كلاهما اعتقاد إلزامي . إننا لا نستطيع أن نعرفه من طريق العلم ، وفي الوقت ذاته ملزمون بالاعتقاد به ، كأحد الفروض الضرورية الجوهرية التي يقوم عليها أكبر جزء من معرفتنا .

٣ — المسألة الثالثة : الاعتقاد في تفوق العقل على المادة ، والشجاعة على حب الملذات .

كيف ندرك أن العقل متفوق على المادة ، وان العواطف العقلية أزكى طبيعة من العواطف الحسية أو حب الذات ؟ كيف ندرك ان الشجاعة وكرم الأخلاق وتضحية النفس ، أصفى طبيعة من حب الملاذ والخشونة والحسيات بضروبها ؟ ان خلايا المخ التي تنشأ من نشاطها وحركتها تلك الانفعالات والخصائص المختلفة ، كلها تماثل المادة ، ولا تدرك ، كالمادة ، شيئاً من هذه الانفعالات . ونعرف من جهة أخرى ، وبقدر ما يسمح لنا بهِ العلم الطبيعي ، ان هذه الخلايا متشابهة في المرتبة والقدر . ومع كل هذا نجد أنفسنا مسوقين الى الاعتقاد بأن هنالك فرقاً في المرتبة واقعاً بين الانفعالات المتشاكلة ، ولولا هذا الاعتقاد لأصبحت العلوم والمجادلات الأدبية برمتها سخرية وتضليل . وهنالك تتعطل المصالح العظمى في حياة الانسان ، كالتفريق بين درجات الفضيلة والرذيلة ، والمدح والذم ، والشرف والاسفاف ، أو انها تصبح على الأقل أشياء غير واقعة أو مضادة للبديهة .

٤ — المسألة الرابعة : الاعتقاد في بقاء القوة . أي حقيقة أن كمية القوة الموجودة في الكون ثابتة لا تزيد ولا تنقص .

يقول العلامة هربرت سبنسر ، كبير مفكري العلماء في القرن الماضي ، إن هذا الاعتقاد أساس كل العلوم الحديثة ، وانه النبع الخفي الذي تستمد منه كل النواميس الطبيعية . يقول سبنسر إن كل النواميس الطبيعية الاخرى ليست سوى توابع تعود إلى هذه الحقيقة

العظمى . وكل الاستنتاج العلمي « يفرض » ان القوة ثابتة ؛ لأنها إذا لم تكن كذلك ، أصبحت أدوات قياس الأبعاد ، التي هي في ذاتها عبارة عن قياس القوة الجاذبة ، وكل أدواتنا الأخرى التي نحقق بها استنتاجاتنا العلمية ، متغايرة بين يوم وآخر ، أو بين ساعة وأخرى ، وبذلك تصبح كل المعارف الطبيعية غير ممكنة . لذلك كان مبدأ بقاء القوة ، ولو لم نستطع أن نثبته علميًّا ، اعتقاداً إلزاميًّا . والعلامة « سبنسر » يعتقد أن هذا الفرض ، وان كان أساس العلم ، إلاّ أن العلم يعجز عن إدراكه . وهذا مثال حق يثبت قاعدة ان كثيراً مما لا يمكن أن يدركه العلم الطبيعي ، يجب أن يعتقد في وجوده . إذ لولا هذا الأمر ، لتحلّل ذلك الهيكل النظامي الذي ترتكز عليه معرفتنا .

٥ — المسألة الخامسة : الاعتقاد في أن المادة توجد بوجود قوّتي الجذب والدفع .

وهذه مسألة أخرى تحقق لدينا أن من الحقائق ما لا يفقهه العلم ، مع استحالة عدم الاعتقاد به .

أما ان قوتي الجذب والدفع حقيقة طبيعية ، فذلك ما لا سبيل إلى إدحاضه . فاننا إذا أخذنا جسما وأردنا أن نفصل بعض أجزائه عن بعض فانهُ يقاوم مجهودنا . وكذلك يقاومنا إذا أردنا أن نضغط أجزاءه ، مثبتاً بذلك انه إنما يتركب من دقائق تتجاذب وتتدافع في آن واحد . وإلى هذه الحقيقة تعود ظاهرة التفاعل وعدم التفاعل في العلم الطبيعي ، بل وفي أجزاء الطبيعة برمتها . ومع كل هذا فان هذه الحقيقة تعدو الادراك العلمي في تعليل كيف ان دقيقة واحدة تجذب أخرى في حين انها تدفعها وتقاومها .

وفي ذلك يقول « سبنسر » — « إننا لا نستطيع أن نأتي بقطعة من المادة يظهر فيها أن جزءاً يجذب آخر في حين انه يدفعهُ . ومع هذا ، فان الاعتقاد بذلك الزامي ضروري »

٦ — المسألة السادسة : الاعتقاد في السببية العلمية .

وهو عبارة عن الاعتقاد في إن كل نتيجة لا بد لها من سبب يناظرها في القيمة . وهو اعتقاد في حقيقة نساق الى اليقين بها ، ولا يمكن معرفتها من طريق علمي .

ليس في تتابع وقوع الظاهرات ما يسوقنا إلى الاعتقاد باتصالها اتصال العلة بالمعلول . وكل ما في مستطاعنا ان نرى ان هنالك سلسلة من سوابق ولواحق . ومع ذلك نجد أنفسنا مسوقين الى الاعتقاد بتلك الحلقات غير المرئية من السببيات التي تربط بعض الأشياء ببعض ، ذلك الاعتقاد الذي يحفظ علينا ألفة العقل ونظامه . والسبب في ان حقيقة السببية العلمية لا تقتدر على الوصول الى الكشف عن ماهيتها ، راجع الى انها ليست غير مظهر من مظاهر بقاء القوة . وما دام بقاء القوة لا يمكن معرفته من طريق العلم ، فيتبع ذلك ان يمتنع على العلم

معرفة ماهية السببية . فاننا عند ما نقول إن نتيجة مَّا يجب ان يكون لها سبب ، فانما ننسى ان القوة التي يتكوَّن منها ذلك السبب لا بد من ان تكون قد استمدت من ناحية اخرى ، أي ان لها سبباً عنه حدثت . فان فتيجة ما مثلاً قد تقع تحت حسنا ، وقد نمثل لها بعدد أربعة ، فاننا حينذاك نعتقد أيضاً ان اثنين واثنين او ثلاثة وواحداً ، لا بد من أن تتقدم وجودها . أما الاعتقاد بأن الاربعة يمكن وجودها من غير وجود اثنين واثنين أو ما يساويهما وجوداً سابقاً على الاربعة ، فاعتقاد بأن القوة قد حدثت بعد العدم ، وفي ذلك نكران لحقيقة بقاء القوة

بذلك نرى ان القواعد الأولية التي تقوم عليها مدركاتنا ومعارفنا المنظومة ، يجب ان يعتقد بها ولو لم يكن في مستطاع العلم أن يعرفها .

أليست هذه عوالم مجهولة ، يعترف بها العلم ؟

اسماعيل مظهر

عن جزر ألوشيان

لأهل جزر الوشيان عادة في الزواج من أعجب ما يروي الاجتماعيون . فللرجل منهم حق التزوج من عدد من النساء بقدر ما يستطيع أن يكفل بالصيد . وللمرأة حق التزوج من عدد من الرجال بقدر ما تستطيع أن تخدم منهم في بيتها . والزوجات يؤخذن بالاسر أو بالشراء من الآباء . فاذا أسرت زوجة أو اشتريت أبق بها زوجها ، أي هرب بها واختفى عن الاعين ، تشبهاً بعادة جرى عليها انسان الكهوف منذ أزمان موغلة في القدم .

فاذا تزوج رجل من امرأة عمل جهده في أن يضم الى حريمه معها كل أخواتها الصغيرات وبنات عمومتها وخئولتها . وعلى العكس من ذلك ، فان امرأة متزوجة من رجل ما ، تصبح بحكم العادة زوجاً لاخوة بعلها وأبناء عمومته وخئولته أيضاً .

وعقاب الاولاد نادر . وصنف العقاب الشائع عندهم ، هو ذلك الصنف الشائع بين الاسكيمو عامة . فان الطفل اذا لج في البكاء والصخب ، عمدت أمه الى الماء فغطته فيه . فاذا كان الفصل شتاء ، غمرته في فجوة بين الثلوج ، فاذا احتواه الماء البارد المقرور فعل فيه ما يفعل السحر ، فكف عن البكاء وهدأت أعصابه .

اصلاح الخط العربي

-٣-

(ج) كتابة الهمزة

كتابة الهمزة من المعضلات الاملائية التي لا ضرورة لوجودها في اللغة العربية . فأنت قلما ترى بين عامة الناس الذين يحسنون القراءة والكتابة ، بل بين الكثيرين ممن بلغوا شأواً بعيداً في تعلم اللغة العربية ، من يتقن كتابة الهمزة دون ما خطأ لكثرة تعقد قواعدها . وقد يجد المدقق في هذه القواعد شيئاً من المنطق والتناسق كعادة قواعد الصرف والنحو العربيين . ولكن يجد أيضاً الهمزة هي في الناحية الصوتية صوت حلقي بسيط ولكنها من ناحية الكتابة مضطربة لا تستقر على حال . فهي كالطفل اليتيم الذي لا مأوى له ولا محل يطمئن اليه ، تكتب وحدها تارة ، وعلى الياء طوراً ، وعلى الواو آونة ، وعلى الألف حيناً . ثم هي على الألف في أول الكلمة قد تكتب فوقها أو تحتها . ولعلّ شيئاً من التحليل لخصائص الهمزة ومقابلتها بالحروف الأخرى وبالصوت نفسه باللغات الاوربية يهدينا الى حل لمعضلة الهمزة، ينسجم مع ما نتوخاه من تبسيط الكتابة العربية وتيسيرها.

ان الهمزة في اللغات الأوربية لا ترد عادة الاّ في أول الكلمة عندما تبتدىء الكلمة بحرف علة . فاذا جاء حرف العلة في وسط الكلمة كان حرف مد ولم يلفظ همزة البتة . فحرف (e) في كلمة election يلفظ همزة في أول الكلمة ولكنه في وسطها حرف علة بحت ،أي حرف مد ، ولا تلفظ الهمزة في وسط الكلمة الاّ إذا كانت الكلمة مركبة مثل قولنا reelection ، maladministration وغيرها من الكلمات المماثلة التي تبتدىء الكلمة الثانية منها بحرف علة . وهي الى هذا يخفض فيها لفظ الهمزة في الوسط فتلفظ لينة في الغالب قريبة من لفظ حرف العلة . فالهمزة في اللغات الاوربية اذاً هي حرف علة يلفظ همزة في ابتداء الكلمة بحكم الضرورة .

أما الهمزة في اللغة العربية فلا يقتصر ورودها واللفظ بها في أول الكلمة، بل هي كثيرة الورود جدًّا في وسط الكلمة وآخرها. فهي في العربية أقرب الى كونها حرفاً صحيحاً من كونها حرف علة. يدلك على ذلك انها تقبل الحركات جميعها من ضم وفتح وكسر وسكون وتنوين ثقيل أي علامة الشدة، كما تقبلها الحروف الصحيحة فنقول: أُميمة، سأل، سُئِل، رأفة، شيءٌ، ترأَّف. وهي تسبق أحرف العلة كما تسبقها الحروف الصحيحة فنقول: آمنَ (أ امنَ)، إيمان، مسؤول. على ان خاصية واحدة من خصائص الهمزة تجعلها شبيهة بحروف العلة في بعض الأحيان، فانها إن جاءت في وسط الكلمة مسكنة بعد ضم أو فتح أو كسر جاز في بعض الأحايين قلبها واواً أو الفاً أو ياءً. فلك أن تقول سؤددٌ وسوددٌ، شأن أو شان، سائل أو سايل وان كانت هذه الأحوال قليلة بالنسبة إلى الأحوال التي تلفظ فيها الهمزة مقطوعة صريحة. ومما يقرّب الهمزة من حروف العلة حذفها في اللفظ عندما ترد همزة وصل في أول الكلمة كأن تقول في « احتمال وبانقسام ».

والحق انها هنا ليست همزة حقيقية، بل صوتاً اقتضته ضرورة النطق بحرف العلة في أول الكلمة، فاذا اتصل بما قبله حذف.

إن هذا التحليل يمهد لنا السبيل إلى ايجاد حل لمشكلة كتابة الهمزة. إن الأقدمين اعتبروا الهمزة أقرب إلى حروف العلة ولذلك اصطلحوا على كتابتها على أحرف العلة الثلاثة أو كتبوها وحدها، وهم بذلك خلقوا لنا معضلة كتابة الهمزة وقواعدها المعقدة. ونحن نزعم ان الهمزة ليست حرف علة، بل هي أقرب إلى أن تكون حرفاً صحيحاً. وهي كحرف صحيح، يجب أن يكون لها رمز واحد ثابت، كما لسائر الحروف الصحيحة. ونقترح لذلك أن توضع الهمزة على كرسي الياء فتكتب دائماً هكذا (ئـ) (١) أينما وجدت في وسط الكلمة وآخرها وتوضع عليها الحركات كما توضع على سائر الحروف الصحيحة. أما في أول الكلمة فنرى ابقاء كتابتها على الألف لأنها الطريقة المألوفة ولا صعوبة فيها، ولأن أغلب الهمزات في أول الكلمة هي همزات وصل تحذف في النطق عند الاتصال بما قبلها فلا يبقى إلاّ الألف. وفي الرسم (٤) بعض كلمات مهموزة كتبت على هذه الطريقة مع وضع الشكل عليها عند الاقتضاء.

---

(١) اقترح علي أستاذي الفاضل أنيس الخوري المقدسي أستاذ اللغة العربية وآدابها في الجامعة الاميركية في بيروت بعد قراءته هذا المقال، أن تكتب الهمزة على الالف في أول الكلمة، وعلى كرسي الياء في وسطها، ووحدها في آخر الكلمة.

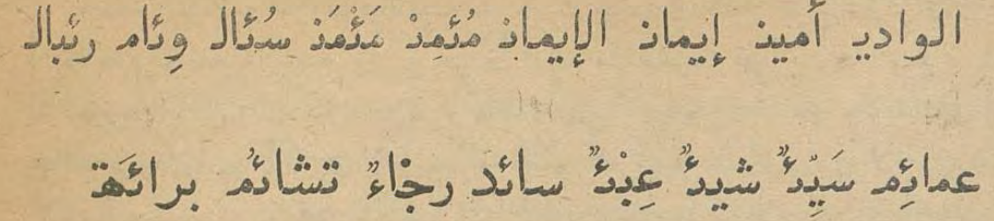
الوادي أمين إيمان الإيمان مؤمن مأمن سؤال وئام رئبال
عمائم سيد شيء عبء سائد رجاء تشاؤم براءة

الرسم ٤ — الطريقة المقترحة لكتابة الهمزة

وربَّ معترض أنَّ كتابة الهمزة على الطريقة الشائعة الآن تدلنا على حركتها أو حركة ما قبلها ، وهذا ما يفقدنا إياه أسلوب كتابتها المقترح هنا . وجوابنا هو ان شأنها في ذلك شأن جميع الحروف الصحيحة الأخرى ، فانها معرّضة للالتباس إذا لم تشكل ، وان العلاج الصحيح لهذا الأمر هو تحريك الهمزة أو ما يسبقها من الحروف عند الاقتضاء كما اقترحنا عند الكلام على الحركات ، وليس العلاج وضع قواعد عويصة، لكتابة الهمزة هي أشد وطأة من الالتباس . وحينئذٍ لا نكون قد فعلنا سوى أننا حللنا مشكلة بخلق مشكلة أخرى . أما إذا عملنا بالاقتراح الجديد فاننا نكون قد حذفنا باباً عويصاً من أبواب الصرف ، قلما يتقنه أحد ، هو باب كتابة الهمزة وخلصنا من المعلمين والمتعلمين والناس أجمعين وجعلنا كتابتنا أقرب إلى المنطق .

(د) اضافة بعض الحروف والاصوات

من المشاكل التي تعترض القارىء العربي في هذا العصر ، عصر الاقتباس الجديد من الثقافات الأجنبية وتبادل الثقافات ، وعصر الاتصال بجميع أنحاء المعمور ، وتوارد المعلومات والأخبار بالكتب والجرائد والمجلات ، وعلى أجنحة البرق والراديو ، مشكلة ضبط الأسماء الأجنبية الداخلة على اللغة العربية وقراءتها قراءة صحيحة . ومن هذه أسماء المواقع الجغرافية التي تتقاطر علينا في كل يوم بالعشرات ، وأسماء الأعلام الأجانب من سياسيين وعلماء وأدباء وغيرهم ، ومصطلحات العلوم المختلفة المنقولة على علاّتها في كتبنا العلمية . وقد كثر استعمال هذه في كتبنا ونشراتنا وأحاديثنا اليومية وتعدّدت أساليب لفظ الناس متعلمين وأميين للكلمة الواحدة ، حتى لم يعد يصح السكوت عن هذه القضية . والسببان الأساسيان لسوء لفظ هذه الكلمات هما . أولاً : أنها تتضمن في كثير من الأحيان حروفاً وأصواتاً لا وجود لها في اللغة العربية . وثانياً : انها غير صادرة من المحيط العربي فهي إذاً غير مألوفة لديه .

ويهمنا هنا قضية الحروف والاصوات غير الموجودة في الهجاء العربي ، وهي في رأينا أربعة حروف صحيحة ، وحرفان من حروف العلة . أما الصحيحة فهي پـ (p) ، چـ (ch الانكليزية) ، ڤـ (v) ، گ (Gu) . وأما العلة فهي (o) و (é , ai) . ولا شك في أن هنالك حروفاً وأصواتاً أخرى لا وجود لها عندنا كحرف (e) الصامت الافرنسي (ö الالماني) وحرف u ، الرقيق الافرنسي (ü الالماني) وحرف (j) الافرنسي (zh الروسي) وغيرها . إلاّ أن هذه في نظرنا تقرب من الاصوات الموجودة عندنا قرباً كافياً يبرر اهمالها . واني مقتنع ان إدخال الاحرف الستة التي ذكرتها على هجائنا ، يقرّبه من الكمال ويجعله صالحاً لكتابة كل ما يرد علينا تقريباً من الكلمات الاعجمية وضبطها ضبطاً ان لم يكن تامًّا فلا بأس بقربه من الاصل .

أما الأصوات الأربعة الصحيحة وهي پـ ، چـ ، ڤـ ، گـ [1] فقد سبقنا الأتراك يوم كانوا يكتبون بالحروف العربية إلى ايجاد رموز لها مستمدة من الخط العربي وليس لنا ما نزيد عليها . وإنما بقي أن نجد رموزاً لكل من الصوت o والصوت ai , é ونحن نقترح واواً مقلوبة للأول (ۏ) تكون كبيرة عند ما تكون حرفاً وصغيرة تشبه الضمة المقلوبة (ٗ) عند ما تكون حركة . ونقترح وضع الرمز (ـه) للدلالة على الصوت الثاني (é) فان كان حركة وضعناه مصغراً فوق الحرف (٘) وبهذا نستطيع كتابة ما نشاء من الأسماء الأجنبية أما إذا أردنا التنوين في هاتين الحركتين فنضاعفهما على هذا الشكل (ٗٗ) و (٘٘) .

وها نحن نعطي بعض الأمثلة على استعمال هذه الحروف (الرسم ٥)

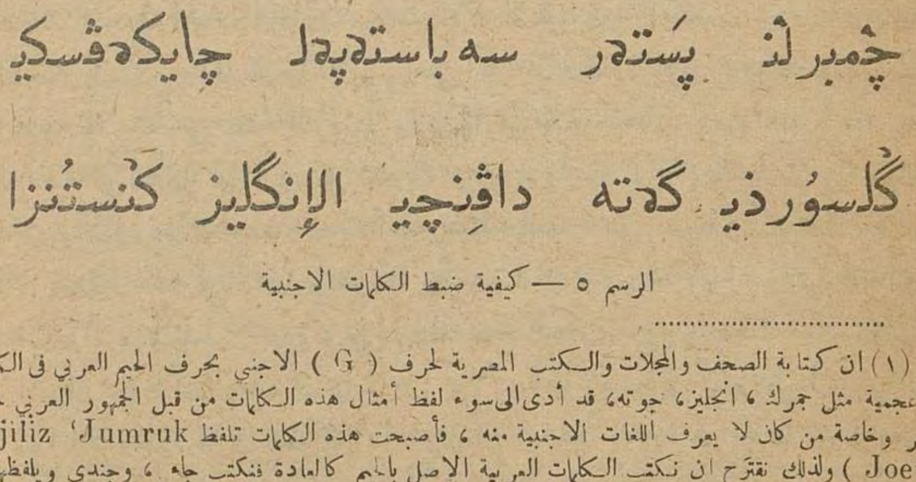

الرسم ٥ — كيفية ضبط الكلمات الاجنبية

---

[1] ان كتابة الصحف والمجلات والكتب المصرية لحرف (G) الاجنبي بحرف الجيم العربي في الكلمات الاعجمية مثل جمرك ، انجليز ، جوته ، قد أدى الى سوء لفظ أمثال هذه الكلمات من قبل الجمهور العربي خارج مصر وخاصة من كان لا يعرف اللغات الاجنبية منه ، فأصبحت هذه الكلمات تلفظ Jumruk ‘Injiliz ‘Joete) ولذلك نقترح ان نكتب الكلمات العربية الاصل بالجيم كالعادة فنكتب جاه ، وجندي ويلفظها كل قطر بحسب لهجته . أما الكلمات الاجنبية فيعبر عن هذا الصوت فيها بحرف گ الجديد فنكتب گمرك ، انگليز ، گوته فيزول الالتباس .

(هـ) اقتراحات املائية

إن مشكلة الخط متصلة اتصالاً وثيقاً بمشكلة الاملاء ، وما دام المراد تيسير الكتابة العربية فلا بأس من ايراد بضعة مقترحات املائية أخرى يكون من شأنها تيسير تعلم الاملاء العربي على المتعلمين . وها هي بعضها :

(١) اعادة الألف المحذوفة من بعض الكلمات كأسماء الاشارة . فنكتب هاذا ، وذالك وأولائك . كما أننا نكتب الآن هاتان ، وهاتيك . ومثل ذلك يجب ان نكتب عبد الرحمان بدلاً من عبد الرحمن . وقد جرى المحدثون على كتابة كلمات الصلاة والحياة والزكاة بالألف بدلاً من الواو .

(٢) حذف الألف الزائدة من الأفعال المجموعة في الماضي والمضارع والأمر فنكتب قالوا ، لم يقولو ، قولو ، كتبو ، ان يكتبو ، اكتبو بدون الف فنتخلص بذلك من غلطة شائعة في الاملاء . كما نتخلص من غلطة أخرى شاعت بين كتبة دواوين الحكومة خاصة وهي ان يضعوا الألف في آخر الجمع المذكر السالم المحذوف النون فتراهم يكتبون « موظفوا الحكومة » بالألف ولا الف هناك ، وانما قاسوها خطأ على الأفعال المجموعة .

(٣) الغاء الألف المقصورة الغاءً تامًّا وكتابة أواخر الكلمات المقصورة كلها بالألف الطويلة فنكتب مصطفا ، نها ، علا (حرف الجر) ، رما ، استغنا الخ . وبذلك نخلص من بضعة قواعد زائدة في الصرف والاملاء العربيين . ولا عبرة في القول بأن كتابة الأفعال الثلاثية بالألف الطويلة او المقصورة ، وضعت للدلالة على كون الفعل واوياً أو يائياً . فاننا عادة نسأل أنفسنا اولاً هل الفعل واوي أم يائي فنقرر ذلك تبعاً للسليقة ، ثم نكتب الفعل باحدى الألفين . ولا نستعمل العكس الاّ في الأفعال القليلة الورود .

(٤) حذف الألف من كلمات مائة وخمسمائة فنكتب مئة وخمسمئة كما جرى عليه الكثيرون .

اننا نعتقد ان هذه الاقتراحات مع اقتراح كتابة الهمزة الذي سبق ذكره تخلص الاملاء العربي من معظم مشاكله وتخفف على المعلمين والمتعلمين في جميع البلاد العربية عملهم والمشكلة المهمة الباقية في الاملاء هي التمييز بين التاء الطويلة والتاء المربوطة . ويزاد عليها عند أهل العراق التمييز بين الضاد والظاء . وبذلك نجعل الاملاء العربي أيسر املاء في الدنيا تقريباً

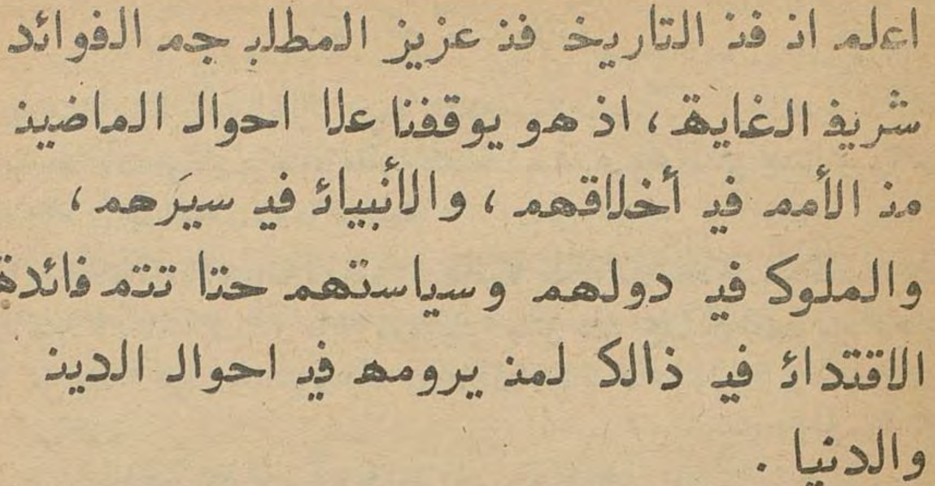

اعلم ان فن التاريخ فن عزيز المطالب جم الفوائد شريف الغاية ، اذ هو يوقفنا علا احوال الماضين من الأمم في أخلاقهم ، والأنبياء في سيرهم ، والملوك في دولهم وسياستهم حتا تتم فائدة الاقتداء في ذالك لمن يرومه في احوال الدين والدنيا .

الرسم ٦ — وهو يبين ان التعديل المقترح يحتفظ بجوهر الخط العربي مع استعمال شكل واحد لكل حرف لا غير ومع تطبيق بعض الاقتراحات الاملائية

٧ — الخلاصة

لقد حاولنا في بحثنا أن نعالج مشكلة اصلاح الخط العربي فقرّرنا ان هذا الاصلاح ضرورة يحتمها العصر كما تحتمها ضرورة تعليم جميع أفراد الأمة العربية وإزالة الأمية من بينهم . ثم نظرنا في نشأة الخط العربي وقابلناه بالخط اللاتيني ، فرأينا ان الخط العربي خير ما تكتب بهِ اللغة العربية لأنهُ نشأ معها ومع اخواتها الساميات ، وتطوَّر بتطورها فهو يفي بحاجاتها كما لا يفي بها أي خط آخر ، وتنطبق رموزه على أصواتها انطباقاً يكاد يكون تامّاً . ولذلك قررنا أن أي اصلاح للخط العربي يجب أن يستمد من روحه ويحتفظ بجوهره ولا يتناول تعديله إلاّ في بعض تفاصيله تعديلاً يؤدي إلى تسهيل تعلمه ، وتيسير طباعته ، وجعله أكثر انسياقاً ، لتدوين اللغة تدويناً أدق مما هو عليه الآن .

وقد اقترحنا لذلك خمسة اقتراحات أولها الاكتفاء بشكل واحد من أشكال الحروف هو شكل الحرف في أول الكلمة وبذلك تنزل أشكال الحروف من نحو المئة إلى نحو الثلاثين ، وثانيهما فصل الحركة عن الحرف في الطبع فتصف الحركات كما تصف الحروف بعضها إلى بعض في الوقت الحاضر ، وبذلك لا يضطر أصحاب المطابع إلى تحمل النفقات التي يتطلبها اقتناء عشرات الأشكال من كل حرف ، ولا يضطر الطابع إلى اغفال الحركات لعدم وجود أحرف محركة عنده . وثالثها اعتبار الهمزة حرفاً صحيحاً تكتب على الألف في اول الكلمة

وعلى كرسي الياء في وسطها وآخرها . ورابعها اضافة ستة أحرف مستمدة من اللغات الأوربية تساعدنا على ضبط الأسماء الجغرافية وأسماء الأعلام والمصطلحات العلمية التي كثر

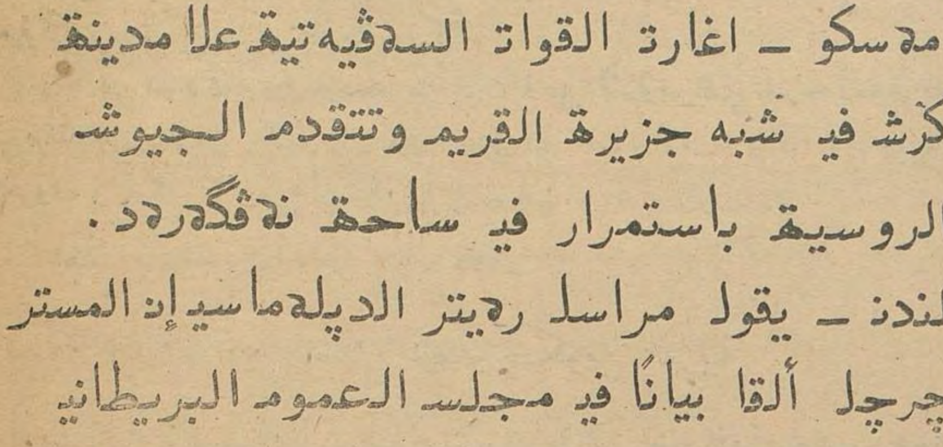

موسكو - اغارت القوات السوڤيتية علا مدينة كرش في شبه جزيرة القريم وتتقدم الجيوش الروسية باستمرار في ساحة نوڤگورود . لندن - يقول مراسل رويتر الدپلوماسي إن المستر چرچل ألقا بيانًا في مجلس العموم البريطاني

الرسم ٧ — كيف يمكن للقارىء العربي ان يقرأ الاخبار اليومية دون ان يخطىء في لفظ الاعلام الاجنبية والمواقع الجغرافية . ومثل هذا ينطبق على الاصطلاحات الاجنبية المنقولة الى اللغة العربية .

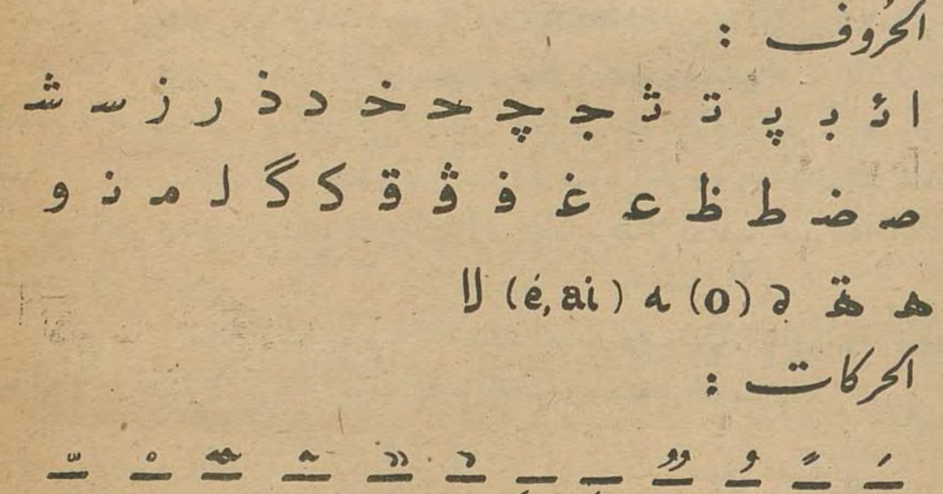
الحروف :
ا ئ ب پ ت ث ج چ ح خ د ذ ر ز س ش
ص ض ط ظ ع غ ف ڤ ق ك گ ل م ن و
ه ة (o) (é, ai) لا
الحركات :

الرسم ٨ — الشكل النهائي للحروف والحركات المقترحة .

استعمالها في العربية . وأربعة من هذه الأحرف هي أحرف صحيحة وهي پـ ، چـ ، ڤـ ، گ واثنان حرفا علة هما ، ه وما يتبعهما من حركتين هما ، و . وأخيراً أتينا ببعض

الاقتراحات لتيسير الاملاء العربي هي اعادة الألف المحذوفة من أسماء الاشارة وأمثالها من الكلمات ، وحذف الالف الزائدة من الافعال المجموعة ، وحذف الالف المقصورة والاستعاضة عنها بالالف الطويلة في جميع الكلمات المقصورة أسماءً كانت أم أفعالاً أم حروفاً ، وحذف الالف من كلمة مئة ومركباتها .

وها نحن نقدم للقارىء نموذجين من الكتابة على الأسلوب الذي نقترحه أحدهما فقرة من مقدمة ابن خلدون والثاني خبر برقي نشر في الجرائد ، (الرسم ٦ و ٧) وجدول كامل للحروف والحركات كما نقترح أن تكون (الرسم ٨) .

***

٨ — اصلاح الخط والحكومات العربية

وفي الختام لابد من القول ان اصلاح الخط العربي ليس قضية اقتراح او مجهود شخصي ولا هو في شأن قطر عربي واحد ، إذ أن ما بين الاقطار العربية الآن من اتصال ثقافي وثيق وتبادل واسع للمطبوعات ، يمنع ان يستقل أي قطر في القيام بمشروع لاصلاح الخط . فلا بد اذاً من تعاون البلاد العربية وحكوماتها في هذا الأمر . ولعلّ هذا الموضوع من أفيد الموضوعات التي يمكن بحثها في المؤتمر أو المؤتمرات الثقافية المقترح عقدها بين البلاد العربية فيؤلف المؤتمر هيئة من الخبراء لدرس موضوع اصلاح الخط وتمحيص جميع الاقتراحات المقدمة بشأنه ورفع تقرير ينطوي على اقتراحات عملية عن هذا الاصلاح . فان أقرها المؤتمر عملت الحكومات العربية على تطبيقها بأن تعممها في مطابعها الرسمية ، وبأن تساعد المطابع الخصوصية على تبديل حروفها ، إذ ان كثيراً من المطابع قد لا يستطيع تحمل نفقات تبديل الحروف بكاملها .

ان موضوع اصلاح الخط عظيم الأهمية للبلاد العربية ولمستقبلها الثقافي ، وقد تكون معالجته فاتحة حسنة للمؤتمرات الثقافية المؤمل اقامتها في المستقبل القريب .

دكتور متى عقراوي

عميد دار المعلمين العالية ببغداد

تحقيق

كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء

يضم هذا الكتيب النفيس طائفة من شعراء العرب الذين عرفوا بنسبتهم إلى أمهاتهم وهو ضرب من التأليف طريف ، يعالجه إمام من أئمة الاخبار والأنساب ورواية الشعر ، وهو محمد بن حبيب. ومن هذا الكتاب نسختان في دار الكتب المصرية، ا إحداهما برقم ٦ مجاميع ش ، وهي التي رمزت إليها بحرف ا . والثانية برقم ٥٧ ش أدب ، وقد رمزت إليها برمز ب .

كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء

صنعة محمد بن حبيب وتصنيفه ، من رواية عثمان بن جني رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

قرأت على أخي محمد قال : سمعته يُقرأ على أبي عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة(١) قال : قرأت على ثعلب(٢) قال : قال أبو جعفر محمد بن حبيب :(٣)

---

(١) هو ابراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة العتكي الأزدي الواسطي ، أبو عبد الله الملقب نفطويه . كان عالماً بالعربيـة واللغة والحديث ، أخذ عن ثعلب والمبرد ، وكان فقيهاً على مذهب داود الظاهري رأساً فيه . وكان بينه وبين ابن دريد منافرة ، وهو القائل فيه :

ابن دريد بقره وفيه عي وشره

وله من التصانيف : إعراب القرآن . المقنع في النحو . الأمثال . المصادر . أمثال القرآن ، وغيرها . ولد سنة ٢٤٤ وتوفى سنة ٣٢٣ . انظر ارشاد الأريب ، وبغية الوعاة . وابن النديم ٧٨ .

(٢) هو أحمد بن يحيي بن يسار الشيباني البغدادي ، أبو العباس ثعلب ، امام الـكوفيين في النحو واللغة ، لازم ابن الأعرابي بضع عشرة سنة ، وسمع من محمد بن سلام الجمحي وسلمة بن عاصم ، وخلف ، وروى عنه اليزيدي والأخفش الأصغر ، ونفطويه ، وأبو عمر الزاهـد . وكان بينه وبين المبرد منافرات . وأشهر تصانيفه كتاب الفصيـح . ولد سنة ٢٠٠ وتوفى سنة ٢٩١ . انظر بغية الوعاة . وابن النديم ١١٠-١١١

(٣) هو محمد بن حبيب أبو جعفر . قال ياقوت : من علماء بغداد باللغة والشعر والأخبار والأنساب ، ثقة مؤدب ، ولا يعرف أبوه ، وحبيب أمه. روى كتب الـكلبي وقطرب ، وكانت أمه مولاة لمحمد بن العباس الهاشمي . وقال ابن النديم مرة : أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو . ثم روى عن عبـد العزيز الهاشمي قال كان محمد بن حبيب مولى لنا — يعني لبني العباس بن محمد — وكانت أمه حبيب مولاة لنا . روى عن ابن الأعرابي وأبي عبيدة وأبي اليقظان ، وله مصنفات كثيرة أشهرها نقائض جرير والفرزدق . توفى بسامرا سنة ٢٤٥ . انظر ابن النديم ١٥٥ وبغية الوعاة . ومن نسبه تدرك سر اهتمامه بهذا البحث.

ذكر من نسب إلى أمه من الشعراء :

١ — (ابن شعوب) أمه شعوب من خزاعة ، واسمه عمرو بن سُمَيّ بن كعب ابن عبد شمس بن مالك بن جعونة بن عُويرة بن شجع بن عامر بن ليث بن بكر بن كنانة. وهو الذي يقول :

ماذا بالقليبِ قَليب بدرٍ   من القَينات والشَّرْب الكرامِ
وماذا بالقليب قَليب بدرٍ   من الشِّيزى تكلَّلُ بالسَّنامِ
تحيّي بالسلامة أمُّ بكرٍ   وما لي بعد قومي من سَلامِ
يخبرنا النبيُّ بأن سنحيا   وكيف حياة أَصداءٍ وهامِ

وله شعر كثير ، قاله وهو كافر ، ثم أسلم بعد .

٢ — و (ابن أم حَولِيّ) من بني الحارث بن همّام ، شاعر أغار على بني يربوع ، فلحقه منهم قوم ، فقاتلهم حتى أحرز غنيمته ، وقال :

نحن بني الحارث قد آلينا   لا يُؤخذُ النهبُ الذي حوينا
أبالصياح عوَّلوا علينا   إنا إذا صِيح بنا أَبَيْنا
لا نجعلُ الطّعنَ بنقدٍ دَيْنا

٣ — و (عَطّاف بن كَبشّة[1] الشيباني) ، قال لخاله عديّ بن ضبّ :

عديَّ بنَ ضبٍّ من تكن أنتَ خالَهُ   أخا أمّهِ تُدلِجْ بلومٍ ركائبُه

وقال : وطالبِ وترٍ قد أتى الليلُ دونَهُ   وما سَبْقُ وترٍ أدرك اليوم أو غدَا

وقال : أنا ابن الذي لم يُخزِني في حياته   ولم يُخزهِ عند الوفاة بلائيا

٤ — و (ابن طوعة) الشيباني ، واسمه ناصر بن عاصم[2] وأمه «طوعة» أَمَة أو أخيذة من آل ذي الجدَّين ، قال[3] :

تعطّفَ اللُّوم على عَطّافِ   بين بني الحارثِ والأحلافِ

٥ — و (ربيعة بن غزالة) السكندي[4] شاعرٌ حليف بني شيبان، وأمه غزالة . قال :

---

(١) في المؤتلف ٢٩٩ : « نشة » بالنون .

(٢) في المؤتلف ١٤٨ أن ابن طوعة الشيباني من آل ذي الجدين . وفصل بينه وبين ابن طوعة الفزاري ، ونسب هذا الفزاري نصر بن عاصم بن عقبة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري . وقد جعلهما ابن حبيب هنا واحداً . وانظر ألقاب الشعراء لابن حبيب ص ١٣٣ .

(٣) يهجو عطاف بن نشة الشيباني كما في المؤتلف ١٤٨ .

(٤) اسمه ربيعة بن عبد الله بن ربيعة بن سلمة بن الحارث بن سوم بن عدي بن أشرس بن شبيب ابن السكون ، شاعر جاهلي أدرك الاسلام فأسلم . وينسب أيضاً « السكوني » بفتح السين ، نسبة إلى السكون بن أشرس بن ثور بن كندي . انظر الاشتقاق ٢١١ والمؤتلف ١٢٥ والاصابة ٢٧٢٧ وألقاب الشعراء لابن حبيب ص ١٤٠ .

كأني إذ وضعت الرحل فيهم   بمكة حيث حَـلَّ بها هشامُ (١)

٦ — و (ابن حَجْـلة الاسدي) وهي أمه ، واسمه عبد بن مُـعَـرِّض، أحد بني ثعلبة ابن سعد بن دُودان من بني أسد ، شاعر ، وهو الذي يقول :

من آخطتهُ ولادتنا فإنا   ولدنا سيِّـد الناس الوليدا (٢)

٧ — و (السَّندريّ بن عَيْـساء (٣) الجعفري) وهي أمه ، أمَـة لشريح بن الأحوص ابن جعفر (٤) . وهو الذي يقول :

هل فيكم يوم كيوم جبـله   يوم أتتنا أسـدٌ وحنظله
والملِـكان والقطـينُ أزفلَـه (٥)   نعـلوهم بقُـضُبٍ منتخَـله
لم تعـْدُ أن أفرشَ عنها الصَّـقله (٦)

وقال : أنا لمن يسـأل عني السَّـندَري   أنا الغـلام الأحوصيُّ الجعفري

٨ — و (حبيب بن خُـدرة الهلالي) خارجي (٧) ، كان مع شبيب ، وذُكر انه أدرك الحـكمين ، وبقى حتى أدرك الضحاك الذي أُخذ بالـكوفة . وقال :

نهيتُ بني فِهر غداة لقيتهم   وحتى نُـصيب والظنون تطاعُ
فقلت لهم إن الجريبَ وواكساً   بها نعمٌ يرعى المُـرارَ رتاعُ (٨)
ولـكن فيه السم إن ريعَ أهله   وإن يأته قومٌ هناك يراعُ

وقال : تفرقتم أن تذكوا لحيّ ببيضة   فظلّ لكم يومٌ إلى الليل أشنع (٩)

---

(١) ا : « بهاشاآم » تحريف .

(٢) أخطته ، هي أخطأته ، سهل همزتها ثم عاملها معاملة المعتل لحذف الألف للجازم. ف : «أخطأته» تحريف ، صوابه في ا .

(٣) عيساء ، مؤنث الأعيس ، وأصله في الابل الأبيض يخالط بياضه شقرة ، وبه سميت المرأة . وفي ا : « عبساء » بالموحدة ، تحريف . وقد جاء على الصواب الذي أثبت في كتاب ألقاب الشعراء الملحق بكتاب أسماء المغتالين من الأشراف لمحمد بن حبيب ، المحفوظ في دار الـكتب المصرية برقم ٢٦٠٦ . انظر منه ص ١٣٤ وكذا الأغاني (١٥ : ٥٣).

(٤) في المؤتلف ١٢٥ أنه السـندري بن يزيد بن شريح بن الأحوص بن جعفر بن كلاب ، وهو ينسب أيضاً « الـكلابي » . وفي الأغاني ان « عيساء » اسم جدته.

(٥) الأزفلة : الجماعة من الناس

(٦) أي لم تجاوز أن أقلع عنها الصقلة . والرجز منسوب في اللسان (٨ : ٢٢١) الى يزيد بن عمرو ابن الصعق ، وفي معجم البلدان إلى رجل من بني عامر .

(٧) في القاموس : « حبيب بن خدرة تابعي » .

(٨) الجريب : واد كانت به وقعة لبني سعد بن ثعلبة . وفي الأصل : « الحريب » بالحاء ، تحريف . وقد أنشد هذا البيت ياقوت ونسبه إلى عمرو بن شأس الـكندي . وعجزه عنده : « به إبل ترعى المرار »

(٩) صدر البيت محرف ، وموضع كلمة : « تذكوا » بياض في ف .

وقال : أصاحِ ترى بريقاً هبّ وهنا   يؤرّقني وأصحابي هجودُ

٩ — و (ابنَ عَيْزرة الهذَلي) وهو قيس بن خويلد [1] ، شاعر . قال :

لعمرك أنسى روعتي يوم أقتُدٍ   وهل تتركاً نفسَ الأسير الروائعُ

وقال : يا حارِ إني يا ابن أمّ عميدُ   كمدٌ كأني في الفؤاد لهيدُ

١٠ — و (قُطبة بن الزّبَعرا) [2] . وهي أمّه . وهو قطبة بن زيد بن سعد بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مالك بن كنانة بن [القين بن]جسر ، شاعر قال :

حميتُ القوم قد علمت معدٌّ   ومَن للقوم من مولىً وجارِ
حبوتُ بها قضاعة إنّ مثلي   حقيقٌ أن يذبّ عن الذمارِ
ولستُ كمن يغمّز جانباه   كغمز التّين تجنيه الجواري

وكان قطبة سيّد قضاعة في الجاهلية وأول الاسلام .

١١ — و (قيس بن الحُدادية) وهي أمه ، من محارب ، حضرمية [3] . وله شعر . قال ابن الأعرابي : حداد من كنانة . وهو الذي يقول : [4]

أنا الذي أطرده مواليهْ   وكلّهم بعد الصّفاء قاليهْ

١٢ — و (عمرو بن الصماء الخزاعي) له شعر ، قال في حرب بينهم وبين كنانة :

إلاّ تعاجلني المنية أستقد   مقاد جيادي من عُميرٍ ومعبدْ
ولو أدركتْ خيلي عُميراً ومعبدا   ونُعمانَ ما آبوا بنا قلةٍ بعدي
لكانوا لأطراف القنا أو لنازعوا   إلى الحيّ أعناق المطيّ المعضّدِ [5]

١٣ — (وعياض بن أم شهمة [6] الخزاعي) إسلامي قال :

---

(١) هو قيس بن خويلد بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة ، أخذته منهم وأخذ تأبط شرا سلاحه ، ثم أفلت قيس ، وأنشد أبياتاً رواها المرزباني في المعجم ٣٢٦ وأولها هذا البيت الذي رواه ابن حبيب .

(٢) كذا في ا لكن في ب : « الزبعرا » وأصلحها الناسخ : « الزعيرا » وظني أنها « الزبعراة » .

(٣) هو شاعر جاهلي فاتك صعلوك خليع ، خلعته خزاعة بسوق عكاظ وأشهدت على نفسها بخلعها اياه ، فلاتحتمل جريرة له ولا تطالب بجريرة يجرها أحد عليه. وهو قيس بن منقذ بن عمرو بن عبيد بن ضاطر ابن صالح بن حبشية بن سلول. انظر الأغاني (١٣ : ٢ — ٨) : وبنو حداد بضم الحاء وتخفيف الدال . انظر الاشتقاق ٢٧٧ وقد نسبه « قيس بن عمرو بن منقذ » . وفي ألقاب الشعراء لابن حبيب أن أمه من محارب بن خصفة . انظر ص ١٣٩.

(٤) قاله في الوقعة التي قتل فيها ، وهو يشير إلى ما كان من خلع قومه أياه .

(٥) ب : « كأطراف القنا ».وقد اختلفت ضروب الأبيات فأتى أوسطها صحيحاً بين ضربين مقبوضين.

(٦) في معجم المرزباني ٢٦٩ : « عياض بن أم سهمة » بالسين المهملة .

هاجتك أطلالٌ ومُبترَكٌ قفرُ   خلا منذ أجلى أهلها حججٌ عشرُ[(١)]

١٤ — و(العريان بن أم سهلة النبهاني) وهو من طيّئ . قال :

لمن الديار غشيتها برماح   فعَمايتَين لجانب السِّرداح
لجنوب فيحان كان رسومها   حُللٌ يمانيةٌ على ألواح

١٥ — و(ابن السَّجراء) من حُرقة جهينة . قال : وحرقة هم بنو خميس بن عامر بن مودوعة من جهينة ، كانوا حلفاء للحصين بن الحمام السهمي من بني سهم بن مرة ، وبشامة ابن الغدير السهمي . قال ابن سجراء يوم دارة موضوع :

لما أتانا جمعُ قيس وواجهت   كتائب خرس بينهن زفيفُ
فلما علت دعوى خميس بن عامر   وقد كلَّ مولانا وكاد يحيفُ
هممنا به ثم ارعوينا حفيظة   فذلَّ بنا غاشٍ وعزَّ حليفُ

١٦ — و(حميد بن طاعة السكوني[(٢)]) قال :

ولما استقلَّ الحي في رونق الضحى   قبضنَ الوصايا والحديث المجمجما
وكان لمُوحٌ من خصاصٍ ورقبةٌ   مخافة أعداء وطرفا مقسَّما
ولما لحقنا لم يقل ذو لبانة   لهمِّ ولا ذو حاجة ما تيمما
من البيض مكسال إذا ما تلبست   بعقل امرئ لم ينج منها مسلما

وقال لعمر بن الخطاب :

إنك مسترعًى وإنا رعيَّةٌ   وإنك مدعوٌّ بسيماك يا عمرْ
لدى يوم شرٍّ شرُّه لشراره   وخيرٌ لمن كانت معائشه الخِيَرْ[(٣)]

وقال : ما إن رأينا مثلك ابن الخطاب   أبرَّ بالدين وبالأحساب
بعد النبي صاحب الكتاب

١٧ — و(ابن الدمينة الخثعمي) واسمه عبد الله . وله شعر كثير[(٤)] .

١٨ — و(يزيد بن ضَبَّة) أمه ضَبّة[(٥)] ، وأبوه مقسم ، وهو كثير الشعر ، وهو

---

(١) في الأصل : « حاجتك » محرف . وفي المرزباني : « ومنزلة قفر »
(٢) جعله الآمدي في ص ١٤٩ : « الشكوى » ، نسبة إلى « شكو » بفتح الشين وسكون الكاف ، وهو أبو بطن .
(٣) ا : «معائيشه» معائيش : جمع معيشة ، وفيها شذوذان ، همز الياء الأولى ، وإلحاق الياء الثانية وإلحاقها مذهب للكوفيين يجيزونه . وأثبت ما في ب.
(٤) انظر الاغاني (١٥ : ١٤٤ ـ ١٥٠).
(٥) في ا : « ضنة » ، بالنون وفي ب : «ضنة» لكن أصلحت في النسخة فجعلت : « ضبة » بالباء .

مولى لثقيف . وهو الذي يقول :

مشيُ البريّ مع المقارف تهمة   ويُرى البريّ مع السقيم فيُلطخُ

وهو الذي يقول :

صبا قلبي إلى هند   وهند مثلها يصبي

١٩ — و (إابن الطَّثْرية (١)) وهو ابن عبيد بن عمرو بن الحارث بن كعب بن سعد ابن زيد مناة بن تميم (٢) ، وهو الذي يقول :

ألا عتبت عليَّ وصارمتني   وأعجبها ذوو اللمم الطوالِ
فاني يا ابنةَ السعدي أربي   على فعل الوَضيِّ من الرجالِ

٢٠ — و (ابن فسوة) فهو عُتيبة بن مرداس الكعبي (٣) . وإنما قيل له ابن فسوة لأنه نزل بهم رجل من عبد القيس يقال له ابن فسوة ، فكان يعيَّر به . فقال له مرداس : أنا أشتري منك هذا الاسم بكبش، فاشتراه ، فقال [أخو] عتيبة : (٤)

حوَّل مولانا علينا اسم أمه   ألا ربَّ مولىً ناقص غير زائدِ

٢١ — و (ابن الهيجُمانة العبسي) لم نعرفه ، وذُكر أنّ الهيجمانة بنت العنبر بن عمرو بن تميم .

٢٢ — ومن شعراء ربيعة (ابن أم الحزنة العبدي) وأم حزنة أمه ، وهو ثعلبة بن حزْن بن زيد مناة بن الحارث بن ثعلبة بن سُليمة بن مالك بن عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لُكيز بن أفصى بن عبد القيس . وله شعر كثير .

٢٣ — و (عمرو بن مبردة) ، عبدي . (٥)

٢٤ — و (ابن الذيبة) وهي أمه، امرأة من فهم ، واسمه ربيعة بن عبد ياليل ، واسم الذيبة قِلابة ، فلقبت الذيبة . وهو الذي يقول :

---

(١) الطثرية : أمه ، من بني الطثر ، بالفتح ، وهم حي من اليمن . قال ابن خلكان : « الطثرية بفتح الطاء المهملة وسكون الثاء المثلثة » . وضبطها صاحب القاموس بالتحريك ، والوجه الاسكان كما جاءت مضبوطة به في نسخة ليدن من الشعراء . انظر شرح الحيوان (٦ : ١٣٧).

(٢) كذا ورد في النسختين، وهذا النسب يخالف ما في كتب التراجم ، فلعل في الكلام سقطاً .

(٣) في الأغاني (١٩ : ١٤٣) وكذلك ألقاب الشعراء لابن حبيب ص ١٢٨ـ ١٢٩ : « عيينة » . ويدل على صواب ما هنا قول ابن قتيبة في الشعراء : « هو عتيبة ويقال عتبة » .

(٤) التكملة من كنى الشعراء لابن حبيب ص ١٢٩ .

(٥) ذكره المرزباني في المعجم ٢٤٠ وقال : « هو أحد بني محارب بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس ... وهو إسلامي أنشد عبد الملك بن مروان لما استبق بنوه فسبق مسلمة — وكان ابن أمة — :

«نهيتكم أن تحملوا هجناءكم   على خيلكم يوم الرهان فتدركوا»

إني لمن أنكرني ابن الذيبه   كريمة عفيفة منسوبه

٢٥ — و (شبيب بن البرصاء(١)) ، وهي أمه . وهو شبيب بن يزيد بن جمرة(٢) بن عوف بن أبي حارثة ، وأمه القرضابة بنت الحارث بن عوف بن أبي حارثة ، وأختها عمرة بنت الحارث أم عقيل بن علّفة(٣) . وهو الذي يقول :

قامت وأعلَى خلقها في ثيابها   قضيبٌ وما تحت الازار كثيبُ
وقال: لا خير في العيدان إلاّ صلابها   ولا ناهضات الطير إلاّ صقورُها
تبيَّنُ أدبارُ الأمور إذا انقضت   وتقبل أشباهاً عليك صدورُها

٢٦ — وبعض (بني أم قرفة) وأم قرفة اسمها فاطمة بنت ربيعة بن بدر الفزاري ، وأبوهم مالك بن حذيفة بن بدر تزوج ابنة عمه .

٢٧ — و(ابن ميادة المري) من بني غيظ بن مرة ، واسمه الرماح بن الأبيرد بن ثريان(٤) كثير الشعر . وهو الذي يقول :

اِعرنزِمِي ميَّاد للقوافي   واستسمعيهنَّ ولا تخافي(٥)
وقال : الا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلة   بحرَّة ليلى حيثُ ربَّتني أهلي
وهل أسمعنَّ الدهر أصوات هجمةٍ   تطالع من هجل قريب الى هجلِ(٦)

يقال ربيت الصبي أربه ربا فأنا رابّ وهو مربوب ، وربيته أربّيه تربية فأنا مربّ وهو مربى ، وربّتُّه أربّته تربيتاً فأنا مربّت وهو مربَّت . ويقال رَبِيت في بني فلان وربوت فيهم وتربيت وتربّت ، كله فصيح مقبول.

٢٨ - و (بَشامة بن الغدير) وهي أمه ، وهو بشامة بن عمرو بن هلال(٧) بن واثلة بن

---

(١) قال ابن دريد : « كان النبي صلى الله عليه وسلم خطب البرصاء إلى أبيها فقال : إن بها سوءاً — وهو كاذب — فرجع فوجد بها برصاً » وسماها ابن حبيب في ألقاب الشعراء ١٣٢ « أمامة بنت الحارث بن عوف » .

(٢) ويقال : «حمزة» ويقال : « خمرة » . انظر حواشي الاشتقاق ١٧٦ . وفي ألقاب الشعراء ١٣٢ : «حيوة» .

(٣) في الأصل : «علقمة» وهو تحريف . انظر حواشي الاشتقاق .

(٤) في الاغاني «أبرد بن ثوبان» وفي المؤتلف « ابرد بن ثريان» . وفي معجم البلدان : « الرماح ابن يزيد وقيل ابن الأبرد » . وفي ألقاب الشعراء ١٣٢ : « الرماح بن الأبرد بن مرداس ».

(٥) الاعرنزام : الاجتماع والتقبض . وفي الاصل : «أعزترحي» والصواب فيما أثبت كما صححت بذلك في ب. وفي ا : «واستسمعهن» ، محرفة .

(٦) في معجم البلدان (٣ : ٢٦٠) : « من هجل خصيب » . وروى ياقوت هذين البيتين في خمسة أبيات قالها ابن ميادة حين استخلف الوليد بن يزيد بن عبد الملك فاستقدمه وأقام عنده دهراً ثم اشتاق إلى وطنه .

(٧) في الأصل : « ملاك» والصواب ما أثبت . وانظر المؤتلف ٦٦ ، ١٦٣ والمفضليات (١ : ٥٣ طبع المعارف) .

سهم بن مرة . كثير الشعر . وهو الذي يقول :

فإنكم وعطايا الرها   ن إذ جرَّت الحرب جلاً جليلا
كثوب ابن بيض وقاهم به   فسد على السالكين السبيلا (١)

٢٩ — وأخوه (أسعد بن الغدير) شاعر ، وهو خال أبي سلمى (٢) زهير بن أبي سلمى الشاعر .

٣٠ — و (زميل بن أم دينار) أبُوه أبير بن عبد مناف ، من مازن بن فزارة ، وهو قاتل ابن دارة . وابن دارة اسمه سالم بن مسافع بن عقبة بن يربوع . هو دارة القمر ، سمي دارة ، شبه بدارة القمر لحسنه ، وهو من بني عبد الله بن غطفان . وزميل الذي يقول :

أبلغ فزارة أني قد شريت لهم   مجد الحياة بسيفي بيع ذي الخلق
وقال : انا زميل قاتل ابن داره   وكاشف المخزاة عن فزاره
ثم جعلت عقله البكاره

٣١ — و (قعنب بن أم صاحب الفزاري (٣)) وهو الذي يقول :

لو كنت أعجب من شيء لأعجبني   سعي الفتى وهو مخبوء له القدرُ

وهو الذي هجا الوليد بن عبد الملك فقال :

فقدت الوليد وأنفاً له   كَثيلِ البعير أبى أن يبولا

٣٢ — (وابن أم حزنة) (٤) وأم حزنة أمه وهو ثعلبة بن حزن بن زيد مناة بن الحارث ابن ثعلبة بن سُليمة (٥) بن مالك بن عامر بن الحارث بن [أنمار بن عمرو بن] وديعة بن لكيز ابن أفصى . شاعر ، وهو الذي يقول :

نهيتكم أن تحملوا هجناءكم   على خيلكم يوم الرهان فتدركوا

٣٣ — و (بشر بن شلوة التغلبي) وشلوة أمه . وهو بشر بن سوادة (٦) . وهو الذي

---

(١) انظر شرح البيتين في المفضليات (١:٥٨) .

(٢) أبو سلمى كنية زهير بن أبي سلمى ، كما في كنى الشعراء لابن حبيب ص ١٢٣ من مصورة دار الكتب . وقد زاد الشنقيطي كلمة : « أبي » قبل «زهير» فلم ينتبه إلى ما ذكرت .

(٣) هو قعنب بن ضمرة ، أخو بني سحيم بن عمرو بن خديج بن عوف بن ثعلبة بن بهثة كما في ألقاب الشعراء ص ١٣٣. وقيل : أحد بني عبد الله بن غطفان ، وكان في أيام الوليد بن عبد الملك . انظر شرح التبريزي للحماسة (٤:٢٤) .

(٤) هذا تكرار لما سبق في رقم ٢٢ .

(٥) كذا ضبطت في الأصل بالضم . وفي الاشتقاق ٢٩٢ بفتح السين .

(٦) انظر المؤتلف ٦٠ . وضبطت « شلوة » في الأصل هنا بالفتح . وقال ابن حبيب في ألقاب الشعراء ١٣٦ : « أخو بني مالك بن بكر بن حبيب » .

يقول في يوم ذي قار ، وكان مع الفرس :

لما سمعت نداء مرة قد علا   وأبو ربيعة في الغبار الأقتم

٣٤ — و (ابن الواقفية [١] السدوسي) ينسب إلى أمٍّ من أمهاته . وهو عبد الله ابن عبد العزي كليب [٢] بن الحارث بن سدوس ، شاعر قال :

أتاني عن أبي بكر ألوك   يخب بها المبين والنذيرُ

وقال: ألمَّ خيال العامرية موهناً   خيال بأعلى حضرموت غريبُ
أرى المرء أمسى للحوادث غاية   نوائبه تغتاله فيصوبُ

وقال يهجو ابن عنمة الضبي [٣] :

إن الشاعر الضبي عبد   كزائدة النعامة مستعارُ

وقال يمدح الحوفزان [٤] :

لمن الديار بجانب الغمر   آياتهنَّ كواضح السطرِ
يا حار أعطاك الاله كما   أثنى عليك أخو بني جسرِ
فلأنت أكسبهم اذا افتقروا   ولأنت أجودهم اذا تثري

٣٥ — و (ابن دغماء العجلي) أمه دغماء بنت مرة ، أخت جَعْونة بن مرة ، وهو الذي يقول لسويد بن حطان ، وكان سويد الضبعي نزل في بني عجل فانتسب إلى مرة أبي جعونة [٥] فقال أنا سويد بن حطان بن مرة ، فقال ابن دغماء :

لعمرك ما أدري وإني لسائل   سويد بن حطان يمتّ وما أدري

---

[١] في الأصل : « الرافقية » . تحريف ، وهي بالواو نسبة إلى بني واقف ، وهم بطن من الأنصار ، وواقف لقب مالك بن امرىء القيس . انظر القاموس (وقف) والاشتقاق ٢٦٥ وانظر ابن قتيبة في المعارف ص ٥٠ .

[٢] كذا في الأصل . ولعله : « من بني كليب بن الحارث بن سدوس » .

[٣] هو عبد الله بن عنمة بن حرثان بن ثعلبة بن دؤيب بن السيد بن مالك بن بكر بن سعد ابن ضبة . « وعنمة » بفتح العين المهملة والنون والميم . وفي ا : « غنمة » محرف . قال البغدادي : «الظاهر أنه من المخضرمين » . الخزانة (٣: ٥٨٠) .

[٤] الحوفزان لقب له ، واسمه الحارث بن شريك بن مطر ، قالوا : «وإنما سمي الحوفزان لأن قيس بن عاصم اقتلعه عن سرجه بالرمح . وكل ما قلعته من موضعته فقد حفزته » الاشتقاق ٢١٥ .

[٥] في الأصل : « مرة بن أبي جعونة» وكلمة « بن» مقحمة .

سوى أنكم دربتم فجريتم   على دربة والضب يختل بالتمرِ (١)
فما أنتم منا ولا نحن منكم   دعاوة كذب أنتم آخر الدهرِ

فغضب جعونة خال ابن دغماء ، فقال :

ان ابن دغماء الذي حدثته   بيض الدجاجة لا يحس له أب
إلاّ الرماد فإنها اعتركت به   بين الرماد وبين أمك تنسب (٢)

٣٦ — و (عبد المسيح بن عسلة الشيباني) أمه عسلة بنت عامر بن شراكة من غسان ، إليها ينسبون (٣) وهو شاعر . قال :

يا كعب إنك لو قصرت على   حسن الندام وقلة الجرمِ
لصحوت والنمري يحسبها   عم السماك وخالة النجمِ (٤)

٣٧ — وأخوه (حرملة بن عسلة) قال له المنذر بن ماء السماء : اهج الحارث بن أبي شمر . فقال :

ألم تر أني بلغت المشيـ   ب في دار قومي عفًّا كسوبا (٥)
وأنّ الإلـه تنصفتـه   بألاّ أعقَّ وألاّ أحوبا
وألاّ أكافر ذا نعمةٍ   وألاّ أخيبه مستثيبا
وغسّان حىّ همُ والدي   فهل ينسينهم أن أغيبا
فآثرْ بها بعض من يعتريك   فانّ لها من معدٍّ كليبا

---

(١) رواه الجاحظ في الحيوان (٦ : ٦٢) : « يحبل بالتمر » وقال : «فجعل صيده بالتمر كصيده لحبالة» . والضب والعقرب يعجبان بالتمر عجباً شديداً .

(٢) مما يزعم العرب أن بيض الطير يتولد حيناً من التراب ومن الريح . قال الجاحظ في الحيوان (٣:١٧١)) : «والبيض الذي يتولد من الريح والتراب أصغر وألطف ، وهو في الطيب دون الآخر . ويكون بيض الريح من الدجاج والقبج والحمام والطاوس والاوز » .

(٣) أما أبوه فهو حكيم . بن عفير بن طارق بن قيس بن مرة بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان ابن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل . انظر المؤتلف ١٥٧ وشرح الأنباري للمفضليات ٥٥٦ وما ورد من التحقيق فى المفضليات (٢:٧٨ طبع المعارف) .

(٤) انظر لفهم هذا البيت ما ورد في جو المفضليات . وفي الأصل : «والنمري يحسبه * عم السماك وخاله النجم »، وهو تحريف .

(٥) رواية الخزانة (٤:٢٣٠) : « بلغت المشيبا * وفي دار قومي» .

فانبرى عمارة بن العيّف العبديّ (١) من سليمة بن عبد القيس ، وهم حلفاء في بني شيبان في بني سعد ، فقال :

لا هم إنَّ الحارث بن جبله عقَّ أباه ظالماً وقتله
وأيَّ فعل سيء لا فعله (٢).

٣٨ — و (عِتبان بن وَصيلة) وهي أمه (٣) . وهو عتبان بن شراحيل بن شريك ابن عبد الله بن الحصين بن أبي عمرو بن عوف بن مرة بن ذهل بن شيبان

٣٩ — و (عمرو بن الاطنابة) وهي أمه (٤) ، وهو الذي يقول :

قرت أحسابنا كرماً فأبدت لنا الضراءُ عن أدمٍ صحاحِ
ولم يُظهر لنا عُقراتِ سوء جمودُ القطر أو بكءُ اللقاحِ

[في ختام نسخة (ا) نجز الكتاب والحمد لله رب العالمين . نقلت جميعه من نسخة نقلت جميعها من خط أبى الفتح عثمان بن جني وصححها رضي الدين الشاطبي رحمهما الله.

وفي نسخة (ب) : « قال في أصل هذا : نجز الكتاب . الخ » وزاد : « ونجزت هذه النسخة في يوم الاثنين المبارك ١٤ صفر الخير سنة ١٣٠٠ بالمدينة المنورة رحم الله كاتبها ومستنسخها والمسلمين أجمعين].

عبد السلام محمد هارون

---

(١) ينسب الرجز أيضاً إلى «شهاب بن العيف» . وفي نسخة البغدادي من كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء : «عامر بن العيف» . (انظر الخزانة ٤ : ٢٣١)

(٢) انظر رواية الرجز وتمامه في الخزانة.

(٣) عتبان ، بكسر العين ، ووصيلة بفتح الواو . انظر الاشتقاق ٢١٦ . وفي معجم المرزباني ٢٦٦ : «عتبان بن أصيلة ، ويقال وصيلة ، الشيباني. وأصيلة أمه وهي من بني محلم» . وأورد من شعره قوله لعبد الملك ابن مروان :

فبلغ أمير المؤمنين رسالة وذو النصح لو يرعي إليه قريب
بانك إلا ترض بكر بن وائل يكن لك يوم بالعراق عصيب
فان يك منكم كان مروان وابنه وعمرو ومنكم هاشم وحبيب
فمنا سويد والبطين وقعنب ومنا أمير المؤمنين شبيب

وللبيت الأخير قصة يتداولها الرواة .

(٤) عمرو بن الاطنابة شاعر جاهلي . وأمه الاطنابة بنت شهاب بن زبان ، من بني القين بن جسر وأبوه عامر بن زيد مناة بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج . انظر المرزباني ٢٠٣ والكنى والألقاب لابن حبيب ١٣٩ . وأصل الاطنابة سير يشد في وتر القوس العربية تحزق به . الاشتقاق ٢٦٨

فيلسوف العرب

والمعلم الثاني

تأليف الاستاذ مصطفى عبد الرازق باشا الرئيس الفخري للجمعية الفلسفية. والكتاب من منشورات الجمعية الفلسفية المصرية، ويقع في ١٢٦ صفحة من القطع الكبير، ونشرته دار إحياء الكتب العربية ١٣٦٤ هـ — ١٩٤٥ م.

صدّر هذا الكتاب بعبارات غاية في الجودة، إذ أشار حضرة رئيس الجمعية الدكتور علي عبد الواحد وافي، وسكرتيرها العسام الدكتور عثمان أمين إلى تهيب الناس من قراءة الفلسفة أخذاً منهم بفكرة فيها تجانب الصواب، إذ خيل اليهم أن الفلسفة ترادف في اللغة الكلام الغامض والأقوال المبهمة والصيغ المعقدة والأفكار المجردة. جاء في ذلك التصدير:

«ولعلَّ السبب في تهيب الناس لبحوث الفلسفة أن بعض المشتغلين بها قديماً وحديثاً قد عمدوا الى التعمية والابهام، فصاغوا موضوعاتها في مصطلحات وعبارات غريبة، وألقوا بذلك على حقائقها حجباً وأستاراً، وبعدوا بها عن الحياة والواقع».

«وإذا أراد الله بالفلسفة خيراً ألهم أهلها أن يسلكوا سبيلاً أخرى، فيعنوا بالشئون الانسانية، وبالأمور التي يتجه اليها التفكير في كل زمان ومكان، ويعالجوا بحوثهم في أسلوب سائغ جذّاب يفتح باب الفلسفة على مصراعيه لجمهور المثقفين» اهـ..... وهذه فاتحة مباركة إن شاء الله.

القصد من النقد المقابلة والتحليل، وأساسه حرية الفكر. عنصران يقوم عليهما النقد الصحيح، فاذا استطاع الناقد أن يتجرد مع هذا من أحاسيس التحامل والتحيز، جاء نقده أقرب ما يكون إلى الغاية المرجوة من النقد، وجاءت أحكامه أوفى ما يمكن من الترجيحات المعقولة. ذلك بأن ارسال الاحكام القطعية، سواء أفي الفلسفة، أم النقد، ارسالاً لاتبرره المعلومات التي يقوم عليها الحكم، هي من الأشياء التي أغمضت الفلسفة وأعمت النقد. لهذا نقتصر في نقد هذا الكتاب على جزء منه هو الخاص بالكندي فيلسوف العرب، ثم نعود في عدد آخر الى نقد بقية أبواب الكتاب، فان الفراغ والوقت لا يأذنان لنا بأكثر

من ذلك ، وقيمة الكتاب وقيمة مؤلفه ، تقضيان علينا بالنظر فيه نظراً يكون الى التقدير الصحيح جهد المستطاع .

يظهر لنا جليًّا من هذا الكتاب أن الكندي ، فيلسوف العرب ، قد ظلم حيًّا وميتاً . ظلم حيًّا لأنه أول فيلسوف من العرب اشتغل بالعلوم والآراء الأجنبية ، وكانت وقفاً على غير المسلمين من حرانيين وسريان ويهود حتى زمان ظهوره وأخذه بها لم يعتد العرب الاشتغال به من أشياء العقل . وظلم ميتاً لأن آثاره قد ضاعت فلم يبق منها ما يمكن أن يتخذ ركيزة لبحث يظهرنا على أصل حكمته . فكان بذلك أول عربي واجه العاصفة ، عاصفة الآراء التي قامت في عصره ، فألقته صريعاً وتركته في حياته موضع سخرية أهل الفراغ ، وبعد مماته موضع العطف من الأخلاف الذين لم يجدوا أمامهم من شيء يصلحون به ما أفسد الدهر من أمر الكندي ، الاَّ رحمة من الله يستمطرونها عليه .

ان تضارب أقوال المصادر القديمة عن الكندي متناقضة ، وتحليلها والمقارنة بينها من أصعب الأشياء ، فهي نتف وعبارات مقتضبة لا تزوِّدك بشيء اللهمَّ إلاَّ بفكرات متناثرة لا يصح أن تتخذ أساساً لنقد مستفيض قائم على نصوص شاملة

تقرأ في كتاب « إخبار العلماء بأخبار الحكماء » : « ومما اشتهر من كتب بطليموس وخرج الى العربية كتاب الجغرافيا في المعمور من الأرض . وهذا الكتاب نقله الكندي الى العربية نقلاً جيداً ويوجد سريانيًّا» . وفي كتاب طبقات الاطباء نقلاً عن أبي معشر : « حذَّاق الترجمة في الاسلام أربعة : حنين بن اسحق ، ويعقوب بن اسحاق الكندي ، وثابت بن قرة الحراني ، وعمر بن الفرخان الطبري » . وفي الفهرست لابن النديم : « فاضل دهره وواحد عصره في معرفة العلوم القديمة بأسرها» . ويقول صاحب كتاب أخبار الحكماء : « المشتهر في الملة الاسلامية بالتبحر في فنون الحكمة اليونانية والفارسية والهندية » ، (انظر ص ٢٢)

وتقع في الكتاب على ما يناقض هذا تماماً . ففي ص ٢١ إن الكندي كان « يقتحم غمار الفلسفة وما اليها من العلوم المنقولة عن يونان وفارس والهند ، ولا يجد فيما يترجمه النقلة غنى ، فيحاول إن يَردَ هذه العلوم في منابعها ، ويتعلم اليونانية ، ويترجم بها ويصلح ما يترجمه غيره ، ويتصل بالثقافة اليونانية اتصالاً ظاهر الأثر في عواطفه وتفكيره » ..... حسن جدًّا . فهذا خبر مستوى الأجزاء . ولكن اقرأ ما يليه :

« قال المسعودي في مروج الذهب — وقد كان يعقوب الكندي يذهب في نسب يونان إلى ما ذكرنا : انه أخ لقطحان ويحتج لذلك بأخبار يذكرها في بدء الأشياء ، ويردها من حديث الآحاد والأفراد ، لا من حديث الاستفاضة والكثرة . وقد ردّ عليه أبو العباس

عبد الله بن محمد الناشي في قصيدة طويلة ووكد خلطه نسب يونان بقحطان جاءَ فيها :

وتخلط يونانا بقحطان ضلةً   لعمري لقد باعدت بينهما جداً

ومقابلة النقد هنا تظهرك على أشياء هي غاية في التناقض . فيلسوف يشتغل بحكمة اليونان وكان « يقتحم غمار الفلسفة وما يليها من العلوم المنقولة عن يونان وفارس والهند » — وقد تعلَّم اليونانية وترجم بها وأصلح ما ترجمه غيره، يقول إن يونان أخ لقحطان، وشاعر يصحح له ما أخطأ فيه ! وكيف يتفق لمن لا يعرف أن يونان شيء وقحطان شيء آخر ، هذا أعجمي وذلك عربي ، ان يكون عارفاً باليونان وعلومهم ؟ والظاهر أن كثيراً من أهل العربية ، ومنهم الكندي ، كانوا يعتقدون أن يونان شخص لا قبيلة . وذلك يدل عقلاً على ان علمهم بتاريخ اليونان كان قريباً من لا شيء .

وجاء في ص ٢٤ : « ومع ممارسة الكندي للأدب وما إليه حتى قال صاحب كتاب « اخبار الحكماء » — وخدم الملوك مباشرة بالأدب — وحتى نقلوا عنه حكايات في نقد الشعر وفي الجدل في أسرار البلاغة العربية، وحتى ذكروا له أن له كتاباً في صَنْعَة البلاغة، مع ذلك فان الأدب لم يكن هو الميدان الذي ظهرت فيه مواهب الكندي وآثار عبقريته » .

ومع إننا لم نقع على موضع واحد في الكتاب ظهرت فيه آثار عبقرية الكندي في غير مجال الأدب ، فان في صحيفة ٢٦ ما يدلك على انه لم يكن بليغاً ولا أديباً في العربية : جاء ما يلي :

« روى عن ابن الانباري انه قال : ركب الكندي المتفلسف الى أبي العباس وقال له : إني أجد في كلام العرب حشواً . فقال له أبو العباس : في أي موضع وجدت ذلك ؟ فقال : أجد العرب يقولون : عبد الله قائم ، ثم يقولون : إن عبد الله قائم ، ثم يقولون : إن عبد الله لقائم : والألفاظ متكررة والمعنى واحد . فقال ابو العباس : بل المعاني مختلفة لاختلاف الالفاظ : فقولهم عبد الله قائم : إخبار عن قيامه ، وقولهم : إن عبد الله قائم : جواب عن سؤال سائل ، وقولهم ان عبد الله لقائم ، جواب عن إنكار منكر لقيامه . فقد تكررت الالفاظ لتكرر المعاني ، قال : فما أحار المتفلسف جواباً » .

فكيف يتفق لمن لا يعرف مثل هذه المعاني الأساسية البسيطة في العربية، أن يكون ممارساً للأدب وصناعة البلاغة ؟ ولكن الظاهر اجمالاً ان الكندي بحكم أنه أول فيلسوف مسلم اشتغل بعلوم الأعاجم ، وأنت تعلم ماذا كانت الأعاجم في نظر العرب المسلمين ، قد حيكت من حوله شبكة من الدسائس ودبرت مؤامرة ، جائز أن تكون بقصد ، ولكن أكثرها كان بفعل عكسي من أفعال الوعي الديني قام في ذهن الناس في عصره ، فلفقت هذه الروايات عنه

جنة الشوك

وصل الينا ذلك الكتاب وعليه هذه الكلمات « الى مجلة المقتطف » وتحت هذه العبارة طبعة خاتم مطموسة لا تعرف لمن ، ولكن يستبان من وضعها تحت العدسة المكبرة انها للاستاذ طه حسين . وليس هذا اهداء ، وانما هو أمر يصدره طه حسين لمجلة « المقتطف » او لغيرها من المجلات او الصحف ، والظروف تعبر عما يختفي وراء هذه العبارة من أوهام ، وكلها اوهام تثير في النفس العاقلة ، دواعي الابتسامات المرة .

قرأت في سنة ١٩١٣ بحثاً في ملحق جريدة التيمس الادبي عن محاضرة ألقاها الفيكونت هولدين اوف كلون حامل أختام الملك في بريطانيا العظمى عنوانها « القومية السامية » Higher Nationality . فاستهواني ذلك البحث ورغبني في الاطلاع على اصل المحاضرة ، فبحثت عن نسخة منها في جميع مكاتب القاهرة وكتبت أطلبها من الناشر فلم أفز بطائل . فكرت أن أكتب للفيكونت نفسه ، فجاءني منه نسخة عليها اهداء هذا نصه : « الى المحترم . . . أرجو أن تتقبلوا هذه الهدية المتواضعة من خادمكم المطيع : هولدين أوف كلون » وجاءني مع النسخة خطاب فيه بيان عن معنى كلمة المانية اضطر أن يستعملها بحرفها الالماني ، هي كلمة Sittlichkeit لانه لم يجد ما يقابلها في لغته ، وخشي أن يكون قد أوجز في بيانها ، فجاء بكتابه يزيدني بها شرحا وتعريفاً .

وكذلك ترى ان المقابلة بين اهداء « جنة الشوك » للاستاذ طه حسين واهداء « القومية السامية » للفيكونت هولدين أوف كلون ، حامل أختام المملكة المتحدة البريطانية ، ومن أعاظم أدباء عصره وعلمائهم ، مما يثير في النفس العاقلة ، مرة ثانية ، دواعي الابتسامات المرة .

وسوف ننظر في هذا الكتاب ونقدره ، بالنقد الحر ، التقدير اللائق به وبمؤلفه ، ولن يكون لتلك الدواعي التي تثير هذه الابتسامات ، من أثر في نقدنا . ونود قبل أن نقدم على نقده ، أن نصف هذا الاهداء المصبوب في قالب أمر الى مجلة المقتطف ، فنقول فيه كلمة ، ملخصها انه يدل على إرتكاس سببه وعي باطن ، يحتاج إلى علاج .

تلفيقاً قُصِد به التأثير في موضعه من العلم ومنزلته من المجتمع ، رداً لأثره الفلسفي وقعوداً به عن الذيوع بين الناس . فينبغي اذن أن نأخذ كل ما يروى عن الكندي من مثل هذا بتحفظ شديد .

مثالنا على ذلك رواية الجاحظ عنه في البخلاء . جاء فيها .

وحدثني عمرو بن نهيوي : قال تغديت يوماً عند الكندي فدخل عليه رجل كان له جاراً ، وكان لي صديقاً ، فلم يعرض عليه الطعام ونحن نأكل . وكان أبخل من خلق الله . قال

فاستحيت منه : فقلت : سبحان الله لو دنوت فأصبت معنا مما نأكل : قال : قد والله فعلت . فقال الكندي ما بعد الله شيء . قال عمرو : فكتفه والله كتفاً لا يستطيع معه قبضاً ولا بسطاً ، وتركه ولو مدَّ يده الى الطعام كان كافراً ، ولكان قد جعل مع الله جل ذكره شيئاً » .

والذي نعتقده ان أكثر الروايات التي رواها الجاحظ في البخلاء مختلقة اختلاقاً أو كانت نكاتاً سائرة على الألسن فصاغها الجاحظ بقلمه المر ، ونسبها الى أعدائه. وكان معتزليًّا ، وأعداء المعتزلة كثيرون .

***

ينفي عن الكندي ذلك رواية أخرى (ص ٣٦) فقد روى الشهرزوري عن الكندي «من ملك نفسه ملك المملكة العظمى ، واستغنى عن المؤن . من كان كذلك ارتفع عنه الذم وحمده كل واحد ، وطاب عيشه » .... فكيف نوفق بين من يقول هذا وبين رواية الجاحظ ، والبخيل لا يملك نفسه ؟ أما إذا صحت رواية الجاحظ فالكندي ممن لا يؤمنون بالحكمة ، لأن من آمن بالحكمة كانت له فلسفة ، ومن يكون له فلسفة ، طبق نظرها على الفعل .

ومما يؤيد مذهبنا في الروايات التي رواها الجاحظ في البخلاء ما جاء في ص ٣٧ إذ يقول المؤلف :

« لا جرم كان الجاحظ يسخر من الكندي ويشنع عليه لبعد ما بين طباعيهما وبعد ما بين سبلهما في الحياة . وكان الجاحظ بصريًّا، وكان الكندي كوفيًّا ، وبين أهل البلدين عداوة وتنافس . والجاحظ معتزلي ، ولم يكن يسلم من لذعاته إلاَّ من تحرَّم بحرمة الكلام »

مما يوصف بأكثر ما نقل عن الكندي من أمثال كلام الجاحظ وغيره ، عبارة نقلها المؤلف في ص ٣٩ : وقال يوماً لجارية كان يهواها : إني أرى فرط الاعتياصات من المتوقعات على طالبي المودَّات مؤذن بعدم المعقولات . فنظرت اليه وكان ذا لحية طويلة فقالت : ان اللحى المسترخيات على صدور أهل الركاكات محتاجة الى المواسي الحالقات .

إن أثر الكذب في هذه الرواية لظاهر كل الظهور ، بيِّن كل البيان . وإذن فكل الروايات التي ترمي إلى تشويه سمعة هذا الرجل الكبير مدخولة بالشك ، مغزوة بالريبة . وعلى ذلك فقس أكثرها أو كلها إن شئت . والسبب في ذلك ظاهر فان الكندي (على ما جاء في ص ٤١ من الكتاب) هو بلا ريب اول فيلسوف مسلم عربي اشتغل بالفلسفة التي كانت الى عهده

وقفاً على غير المسلم العربي ..... لهذا كان الهدف الأول وموضع السخط الرئيسي، لقوة الدفع التي استجمعت من حوله كل قوى الرجعية في ذلك العصر .

***

من الروايات التي تظهرنا على شيء من علم الكندي ، والتي تدلنا على ان علمه بالحكمة لم يكن من العمق والقوة بحيث وضعه كثير من أصحاب الروايات، عبارة وردت في ص ٢٨ من ذلك الكتاب : قال الشهرزوري في كتاب (نزهة الأرواح) » — ذكر أبو سليمان السجزي إنه اجتمع هو وجماعة من الحكماء عند الملك ابي جعفر بن بويه بسجستان، فجرى حديث فلاسفة الاسلام : فقال الملك : ما وجدنا فيهم على كثرتهم من يقوم في أنفسنا مقام سقراط وأفلاطون وأرسطوطاليس . فقيل له ولا الكندي ، قال : ولا الكندي ، فان الكندي على غزارته وجودة استنباطه ، رديء اللفظ ، قليل الحلاوة ، متوسط السيرة كثير الغارة على حكمة الفلاسفة » ..... وإذا صحت هذه الرواية بحروفها وضح لنا أن الكندي لم يكن صاحب فكرة مبتكرة في الفلسفة ، ولم يكن فيلسوفاً بالمعنى المعروف ، وانما كان ممن يغيرون على حكمة الفلاسفة فينسبونها لأنفسهم . ويؤيدنا في هذا المؤلف نفسه (ص ٣٠) حيث يقول : «والواقع أن الأصول التي كان يرجع الكندي اليها مترجمة كانت الى اللغة العربية أو غيرها ، أو موجودة في لغاتها الأصلية ، لم تكن تخلو من تحريف ومن غموض . وكان طبيعيًّا أن يجد الكندي عناء في استخلاصه معانٍ منها سقيمة في نظر العقل منتظمة النسق » ... واذا كانت هذه مصادر علمه ، فما قولك في علمه نفسه .

ولقد أورد المؤلف بعض عبارات استدلّ منها على أن أسلوب الكندي كان فيه غموض . قال :

«والذي يلاحظ من أسلوب الكندي، اعتماداً على هذه المصادر الضئيلة، ان فيه غموضاً يأتي بعضه من أن الألفاظ الاصطلاحية الفلسفية لم تكن استقرت في نصابها ، وتحددت معانيها » . ولست أدري كيف نحكم بأن الغموض أتى من ناحية الألفاظ الاصطلاحية لأنها لم تحدد ، والذي وصل الينا من آثار الكندي قليل لا يواتينا بما نصدر به هذا الحكم من الاحتمالات . والأمثال التي أتى بها المؤلف تناقض هذا الحكم . قال (في ص ٢٩) :

« ومن أمثلة ذلك (أي الأمثلة على الغموض) ما جاء في كتاب أتولوجيا ص٢ » : واذ قد ثبت في اتفاق أفاضل الفلاسفة إن علل العالم القديمة البادية أربعة : وهي الهيولى والصورة والعلة الفاعلة ، والتمام ، والذي سماه التمام هو الذي سمي فيما بعد العلة الغائية ، كما يؤخذ من

سابق كلامه ولاحقه » اه ..... ولست أرى في ذلك غموضاً ، ولعله يريد : والعلة التمام ، تعقيباً على العلة الفاعلة ، لا سيما إنه قال : الهيولى والصورة والعلة الفاعلة والتمام ، فالتمام هنا مفهومها « العلة التمام » بالاضافة الى ما قبلها . وقد استعمل الكثيرون العلة التامة بدلاً من الغائية ، ولا فرق بين التمام والتام ، فالكلام بيّن ظاهر لا غموض فيه . والذي يقرأ الفلسفة القديمة ، ينبغي له أن يوطن النفس على شيء من التبصر ونفوذ النظر ، وان لا يتوقع أنه سوف يستقي حكمة القدماء ، كما يشرب كوباً من الماء البارد في يوم قائظ .

وجاء في الصحيفة نفسها : ومن أمثلة ذلك أيضاً : استعماله في كتاب « أتولوجيا » كلمة « مبسوط » بمعنى بسيط : وهذا هو النصّ : « وما الذي يمنع النفس اذا كانت في العالم الأعلى من أن تعلم الشيء المعلوم دفعةً واحدة ، واحداً كان المعلوم ام كثيراً . لا يمنعها شيء من ذلك البتة ، لأنها مبسوطة ذات علم مبسوط . فعلم الشيء الواحد مبسوطاً كان أو مركباً دفعةً واحدة » ... والواقع انه لا يستدل من هذه العبارة مطلقاً على ان الكندي يقصد هنا ان علم الروح يكون بسيطاً بالمعنى الذي ندركه من البساطة أي الغرارة والأولية ، وانما يقصد انه لا يمنع النفس مانع اذا كانت في العالم الأعلى من أن تعلم الشيء المعلوم دفعةً واحدة لا بالتدريج شيئاً بعد شيء ، سواء كان الشيء المعلوم واحداً أو كثيراً . لأنها هنالك تكون مبسوطة أي غير مقيدة وعلمها مبسوط أي مفصل ، لا اجمال فيه فقد رمى هنا إلى التفصيل معبراً عن ذلك بكلمة مبسوط ، والمبسوط هو المفصل الواسع الذي لا اجمال ولا اقتضاب فيه . ومفهوم العبارة على هذا التفسير صحيح جليّ ، على الضد مما لو قلنا إنه أراد « البسيط » أي الأوّلي . وإذن لا يكون هنالك غموض فيما ورد بالكتاب من العبارات التي استدل بها على غموضه .

إما ما أورد المؤلف نقلاً عن « چلسُن » حيث يقول (ص ٢٩) « المعاني ضعيفة كأن الكندي كان يكابد في امتلاك ناصيتها بعناء » — فتدل على انه لم يهضم ما درس ولم يمثله تمثيلاً عقليًّا يكفي أن يضع الكندي مع الفلاسفة ، فكيف به يكون فيلسوف العرب ؟ الاّ ان يكون المعنى انه أول عربي مسلم اشتغل بالفلسفة .

هذا التناقض يسوقنا الى القول بأنّ الكندي شخصية غامضة ، وان علمه مشوب بالشك ، وفلسفته مدخولة بالقلق محوطة بالريبة ، وانه يصعب ان نصدر فيه حكماً مقطوعاً بصحته ، وحالتنا من العلم بآثاره على ما وصف هذا الكتاب .

الزمان الوجودي

كتاب ظهر في المكتبة العربية ، ونال به مؤلفه الاستاذ عبدالرحمن بدوي درجة في الفلسفة من جامعة فؤاد الاول ، فنهنئه بها . ولقد عمدنا الى درس هذا الكتاب درساً يناسب منزلته من البحث وموضوعه من الاساسيات الفلسفية في الغيبيات : Metaphysics . وفي الحق ان الكتاب يمتاز بأسلوب كأنه الرصاص : صلب بارد ثقيل . أو كأنه الليل : مظلم هامد صفيق . ومن الحق أن نسجل اليوم ما سمعنا عن هذا الكتاب .

سمعنا ان الاستاذ لويس ماسينيون قال ان هذا الكتاب كالمرقعة المؤلفة من قصاصات بالية ، حاكها شخص ، فخيل اليه انه ناسجها . وروى لنا أحد الاساتذة أن هذا الكتاب استخلاص من عدة كتب ، ومداره كتاب في « الزمان والوجود » ألفه باحث الماني يدعى « هيدجر » : Heidegger وصلت منه نسخة فرنسية الى مصر ، اطلع عليها أحد أعضاء لجنة الامتحان ، فوجد ان المؤلف قد ترجم منه بالحرف أكثر من ثلاثين صحيفة متوالية من غير أن ينسب كلة واحدة منها الى المرجع الذي أخذها منه ، ولما سئل في ذلك أجاب بأقرب أسلوب عملي : وهو السكوت .

أما التصدير العام الذي صدر به الكتاب فسطران هما : « غاية الموجود ان يجد ذاته وسط الوجود . وها هنا صورة اجمالية لمذهب فسرنا فيه الوجود على أساس الزمان ، وحاولنا تحقيق هذه الغاية للانسان »

وبالطبع لا يمكن لمن لم يقرأ الكتاب ويستطيع فهمه ، أن يعرف ما هو المقصود من عبارة « غاية الموجود أن يجد ذاته وسط الوجود » . ولعلي لا أبالغ اذا قلت انه قد يعجز عن فهمها حتى اذا قرأ الكتاب وفهمه . فالعبارة مخلخلة مائعة . فما المقصود بكلمة « غاية » أهي نهائية أم نسبية . وما المقصود « بالموجود » أكلي أم جزئي . وما المقصود « بوسط » أمادي أم معنوي . وما المقصود « بالوجود » أهيولاني أم روحاني ؟

ويقول ان الكتاب « صورة اجمالية لمذهب » ، واذن فالكتاب ليس في مذهب ولا في أساسية فلسفية ، وانما هو صورة اجمالية من مذهب ، حوول فيه تفسير الوجود على أساس الزمان وان المؤلف حاول تحقيق هذه الغاية للانسان . ومن هنا يظهر ان الكتاب برغم انه « صورة اجمالية » لمذهب ، فالعلة فيه محاولة أريد بها تحقيق غاية لم تحدد ، وان هذه الصورة الاجمالية وتلك المحاولة . قد استحق بهما مؤلف الكتاب درجة في الفلسفة ، ولقب أول فيلسوف مصري ، على ما يروى عن الاستاذ طه حسين ، ولعلها أسطورة .

ولقد يدلنا هذا التصدير على حالة نفسية غير مستقرة تفسيرها : انك اذا سألت المؤلف أهذا مذهب ؟ قال لا : انه صورة اجمالية من مذهب . واذا سألته أفيه أساسية فلسفية يدور من حولها المذهب قال لا : انها محاولة . فالكتاب اذن « صورة اجمالية » لمذهب فيه محاولة تحقيق شيء غامض مبهم » . وثمن هذا ، درجة في الفلسفة .

ولعلي لا أخطيء اذا تخيلت ان موجة من الرمزية المكفوفة تسوق أمامها الفكر في هذا العصر ، فتعدت الفن والادب الى الفلسفة . فقد يصور لك المصور صورة حيوان برأس فيل وقوائم حصان وقرن كركدن وذنب عقرب وأجنحة ظليم . فاذا سألته أي حيوان هذا قال : انه صورة اجمالية من حيوان . واذا سألته أي قصد قصدت من تصويره قال : انها محاولة لا صورة . فأمامك حيوان ولا حيوان ، ومحاولة ولا صورة . أما اذا سألت الفيلسوف : أهذا مذهب : قال انه صورة اجمالية من مذهب واذا سألته الى أي قصد رميت : قال انه محاولة بلا قصد . فأمامك مذهب ولا مذهب . ومحاولة ولا قصد .

وأظن اننا سوف نتقدم لرجال لجنة الامتحان بعبارات من هذا الكتاب غمضت علينا نسألهم تفسيرها ، حتى نكون فيما سوف نعقد من نقد ، بعيدين كل البعد عن كل عوامل الاعتساف ، أو التفرد بتفسير عبارات بلغ بها الغموض مبلغاً قصيًّا .

المرأة والمجتمع (*)

سيداتي سادتي : يسرني أن أقف الليلة محامياً عن المرأة ، مدافعاً عن حريتها ، مصححاً لكثير من الآراء الخاطئة التي أحاطت بقضيتها . والحق انني لست الأول في هذا ، فان كثيرين من الكتّاب الحديثين راجعوا الموضوع وغربلوه ، وراجعوا أصوله ، واستعرضوا المسألة بيولوجيًّا وفسيولوجيًّا ، وسيكولوجيًّا ، فأمكن أن يضعوا الكثير من الامور في نصابها . ولقد تناول الباحثون دراسة المرأة : (أولاً) على ضوء الفروق الفسيولوجية والتشريحية بينها وبين الرجل . (ثانياً) على ضوء الفروق السيكولوجية بين المرأة والرجل . (ثالثاً) على ضوء الاحصائيات والأرقام . (رابعاً) على ضوء الوقائع المثبتة في التاريخ والسير . (خامساً) على ضوء البيانات والحقائق المستمدة من علم الحياة — وبخاصة ما جرى في سلسلة التطور — واني شخصيًّا أفضل أن أبدأ من هذه النقطة الأخيرة ، لأصل الى نقطة تهمني جدًّا في البحث ، وهي ان المشكلة كلها نشأت من ان الأنثى رضيت أن يكون نصيبها من العمل حفظ الذرية ، بواسطة التناسل ، والسهر على النوع ورعايته خوفاً من انقراضه . وتركت للرجل النصف الثاني من العمل ، وهو جلب القوت ، والتنقل في سبيله ، والتفنن في اجتلابه . معنى ذلك انها اضطلاعاً منها بالمسئولية الكبرى ، وهي حفظ النوع وانتشاره ، رضيت أن تبقى حيث هي في مكانها — على رأي الانكليز Tends & attends — ومعها أولادها ، في انتظار ما يأتي به الرجل ، أي انها رضيت في سبيل المصلحة العامة ان تعتمد على الرجل وتركت له أن يعولها اقتصاديًّا ، مؤمنة بأن قيمة العمل المنوط بها جديرٌ بأن يعادل ما فقدته من حريتها الاقتصادية ، جديرٌ بأن ينسيها الأسر والقيود التي كبلتها بها الأمومة بالنسبة للحرية التي يملكها الرجل والتي أعطته صورة من صور السيادة أساء استعمالها فيما بعد . إن المسألة البيولوجية مشت على الوجه الآتي : كل الذين درسوا علم الحياة ، يعلمون أن الاميبا تنقسم عدة أقسام لا تلبث أن تنفصل ويصير كل منها جزءاً مستقلا . ولقد كان في الامكان أن تظل هذه الوسائل قائمة ، أي انقسام الخلايا ، ما دامت هذه هي الطريقة

(*) ألقيت بكلية الآداب بجامعة فاروق الاول في شهر ابريل

التي يتكوّن بواسطتها الجنين وينمو . . . ولكن الذي جرى أن الطبيعة ، حرصاً منها على الذرية ، رأت في مرحلة التطور الثانية ، ان يبقى الصغار على الأم حتى ينضجوا ، ورأت كذلك ان من الجائز ان يعطوا عملاً بدل بقائهم على الأم عاطلين ، فلما أعطوا عملاً مختلفاً تميزوا ، ولما تميزوا ، صار هناك ذكر وأنثى بعد ان كانوا متشابهين ، فلما انفصلوا عن الأم صار كل نصف يبحث عن نصفه الضائع ، وهذا هو الحب في أول حواشيه . فاذا التقى الذكر بالأنثى ابتلعته انثى وطوته في داخلها ، ثم جعلت حولها سوراً يتكوّن في داخله المخلوق الجديد ، وكل ذلك يحدث في مكان أمين . . . هو ما نسميه نحن الآن Home أو Foyer . من ذلك الوقت اصطبغت بصبغة الأمومة ، واصطبغ الرجل بصبغة الحارس الحامي للذمار الجالب للقوت المتفنن المغامر . ومن ذلك الوقت صارت الأمومة صبغة الانثى التي لا تفارقها — وصارت الحركة والمغامرة ومظاهر القوة من خصائص الرجل التي لا تفارقه . . . وصارت العاطفة الطابع الخاص للمرأة ، بصفتها أمّاً تضم حولها صغارها برباط المحبة ، وتجتذب الذكر بصفات العطف والحنان . وصار التعقل والتخيل والتحايل والابتداع أشياءً أساسية في حياة الرجل ومنطبقة على طبيعة عمله الذي وصفناه وهو طلب الرزق وجلب القوت ...

وما دامت الحياة في أساسها استجابة لعوامل خاصة ، فقد صارت فسيولوجية الانثى عند ما تطوّرت وصارت امرأة انسانة ، مماشية لخصائصها كامرأة ، وصار تشريحها عند ما تطورت مماشياً لخصائصها كامرأة ، وصارت سيكولوجيتها ، مطابقة لوصفها كأم تتناسل وتكفل بتربية الأولاد والسهر عليهم ، ولما كانت الحياة كذلك تفاعلاً بين الشخص والوسط ، فقد كان خُلقُ المرأة ـ من حيث ان الخُلق ـ هو كيفية تصرف ، استجابة لعوامل الوسط.

ولقد كانت استجابتها لكل ما كلفت به كاملة ورائعة . وقامت بواجبها على أتم ما يمكن وساعدتها الطبيعة أحسن مساعدة ، فمن جهة الفسيولوجيا منحتها تركيباً فسيولوجياً مطابقاً كل المطابقة لما أعدت له ، فان تركيبها العصبي في شدة حساسيته ، وفي استجابته السريعة للمؤثرات ، والغدد الصمّ في المرأة وافرازاتها المدهشة ، كل ذلك وغيره ، ساعدها على أن تؤدي وظيفة المرأة الأم أحسن تأدية . ومن جهة التشريح : أثبت علم التشريح المقارن ان المرأة هي التي تحمل علم التطور . ولقد قال هاڤيلوك : أليس بحق أن المرأة هي التي تحمل علم شباب الانسانية . بدليل ان في الطفل والمرأة تركيب الرأس وغير ذلك من دلائل التطور ، تدل على أن التطور هو فيهما وبهما . . . وأما الانسان البالغ ، فكلما تقدم في العمر ، ينحدر شكله الى شكل القرود ، فهو بذلك يمثل مرحلة سالفة ..

فمن يقول إن المرأة أقل في أي صفة تشريحية أو فسيولوجية فهو مخطىء . . واذا

اعتقد أحد ان الرجل يزيد في صفة من هذه الصفات عن المرأة فقد ضلّ الصواب . فلقد نسمع من يقول إن وزن المخ يختلف ، أو أن هذا العضو أو ذاك أكبر في الرجل من المرأة . ان المرأة مخلوق كامل في نفسه ، ومن حيث وظيفته كامرأة — والرجل في ناحية تام التركيب كرجل ، فلا معنى اذاً للتفاضل .

نأتي الآن لنقطة هامة جدًّا ، وهي مسألة السيكولوجية . وهذا أهم ركن في موضوعنا هذا. لقد نشأت الخصائص السيكولوجية للمرأة من شيئين — الأول : طبيعتها كامرأة ، والثاني : من وظيفتها كأم — ولقد قال الباحث ڤارنج انه في عدة قبائل كان الرجل مكلفاً بما تقوم به الأم الآن من تكاليف البيت والسهر على الأولاد ، والأم مكلفة بما يقوم به الرجل الآن من السعي وراء القوت . فكان للرجل خصال المرأة ، وللمرأة خصال الرجل . . ومن يدري لعله لو طال العهد بذلك لحدث ما نسميه الخصائص الثانوية للجنس ، أي لالتحت المرأة ونعم جلد الرجل ورقّ صوته . . . وعلى كل يقول ڤارنج : انه من الظلم أن نجعل وجهاً للمقارنة في عصرنا الحاضر بين المرأة وبين مدنية ، هي في الواقع « مدنية رجال » ! إذ الصواب أن نقارن بين مدنيتين ، واحدة من صنع المرأة والأخرى من صنع الرجل . . .

أما وظيفة المرأة فجعلت مركزها الاجتماعي الحالي مخالفاً لمركز الرجل . ولم يكن كذلك في العصور القديمة ، فان حركة مطالبة المرأة بحقوقها ، حركة حديثة جدًّا ، والسبب في ذلك ان مركز المرأة قديماً كان مركزاً لا جدال في أهميته في العائلة . فقد كانت هي التي تحيك ، وتطبخ ، وتقوم بالجملة بكل احتياجات المنزل ، وكان الرجل يأوي الى هذا المكان الذي هو كله. وكل شيء فيه ، من صنع ، يدي المرأة وتدبيرها . فلما أخذ العالم يصير ميكانيكيًّا صناعيًّا ، أخذت أغلب الأشياء التي صنعتها المرأة بيديها في المنزل ، تصنع في الخارج ، وتشرى من السوق ، وزاد على ذلك ان الرجل نفسه هجر ذلك الوكر الذي كانت المرأة تتفنن في اعداده ، رويداً رويداً ، لأنه شغل بمهام العصر الميكانيكي الصناعي واندمج فيه ، وقد مرّ عليه وقت كان هو هو ذاته يعمل بيديه ويخلق من فكره . فصار آليًّا ، استعبدته الآلة وقضت على فنه . ولكنها لم تقلل من غروره واحساسه بالسيادة والسلطة .

الخلاصة من ذلك ان المركز الاجتماعي للمرأة تقلقل بتقلقل القيمة التي كانت لها في البيت والعائلة . وبتغير العصر وصيرورته آليًّا ميكانيكيًّا . ولما أخذت المرأة تنادي بحقها ، كانت في الواقع تنادي بوضعها في مكانها الذي كانت قيمته عالية ومُقدرة ، فصار الرجل يتهمها بسوء الخُلق ، والخروج على المألوف ، ويندد بصيحتها ، وأخيراً صار هناك من يقول إن المراة يجب أن تعود إلى المنزل ، وفاتهم شيء يجب أن يلتفتوا إليه ، فاتهم شيء

حميت عنه أعينهم ، وهو أن العالم تغير بتاتاً ، وإن المرأة لا تستطيع أن تعود لما كانت عليه منذ آلاف السنين ، بل يجب أن نجد حلاً يتفق مع أمرين : طبيعتها كامرأة ، ومركزها الجديد في العالم الحديث المتغير . يجب أن نضع الخمر القديم في زجاجات جديدة . أما من يقول ان ذكاءها أقل من الرجل فهو واهم . ما هو الذكاء ؟؟ الذكاء هو سرعة الادراك ، وسعة الخيال ، والانتباه . أما سرعة الادراك فواضح جداً في المرأة ، بل إنا لنجد ذلك في روايات كثيرة ، فانه اذا ارتبك الرجل والمرأة في موقف ما ، فان المرأة هي التي تلمح شبح الخطر ، وهي التي تنقذ الموقف ، ومن سرعة الادراك ما يسمى بالتأثرات الثانوية ، أي مقدار ثبات المدركات الحسية في اللاشعور . فلقد ثبت ان المرأة يبقى في ذاكرتها الأثر الصغير لمدة طويلة . أما الخيال ، فلا ينقصها ، وان كان الرجل يمتاز عنها فيه . ويبقى الانتباه ، Interest . وأعتقد أن كل ما يعاب على المرأة من جهة عدم نجاحها في العلوم والرياضيات ، ليس ناشئاً من قصور ذكائها ، بل من عدم ميلها وانتباهها لهذه الناحية ، لأنها لا تتفق وعاطفتها السيكولوجية المبنية على الانفعال . والانفعال لا يُعنى بالتجريد ، بقدر ما يعنىَ بالحقائق الجامدة Concrete

ينقلنا هذا إلى انفعال المرأة Emotion فان تركيبها كأم ، جعل العاطفة محور حياتها ، وغددها جميعاً تخصصت لذلك . وطبيعة الانفعال تميل إلى النظر للحقائق والجوامد .

ومن هذا كانت المرأة مقتصدة أكثر من الرجل ، لأنها تميل إلى الجمع والتجميد .

ومن هذا كانت المرأة لا تميل إلى التحليل ، بل الى الأخذ بجملة الشيء .

فاذا أحبت أحبت بلا تشريح ولا تدقيق . وإذا نظرت في حساب نظرت للجملة . وإذا نظرت لقضية سألت عن النتيجة . وإذا اقتنعت لم تقتنع بالكلام والشرح ، بل بحقيقة ملموسة ، كهدية أو فستان . من هذا يتضح أن المرأة عملية ، بينما الرجل خيالي .

ولقد اتضح من الأرقام والبيانات في المدارس والجامعات ان البنات أميل إلى النظام ، وأكثر اجتهاداً وأحسن نتيجة ، وان كان ينقصهن الخَلْقُ والابتكار ، ويختلفن عن الذكور في أنهن يستطعن أن يركزن فكرهن في أكثر من شيء واحد في وقت واحد ، وذلك لضيق الوعي عندهن . ولكن الاختلاف ناشيء على كل حال من أن المرأة ذات طبيعة انفعالية لا تساعد على التجريد والتخيل . وكذلك لا تساعد حدة الانفعالات على النبوغ في الفنون والآداب ، لأن الفن الخالد محتاج إلى انفعال لا يغمر الوعي ويغرقه .

فهؤلاء الذين يقولون ان ذكاء المرأة ناقص يتكلمون عن الذكاء ككمية ، بينما الذكاء عناصر تكوّن معاً مزيجاً اسمه (ذكاء) والصفة هي التي تختلف . وبينما الذين يقولون ان

المرأة لا تنفع لهذا الشيء أو ذاك، يجهلون طبيعة المرأة كل الجهل. فان في طبيعتها ما يؤهلها لأعظم الأعمال. خذوا مثلاً، طبيعتها العملية، وخذوا مثلاً نجاحها في المسائل الاقتصادية، وخذوا مثلاً اهتمامها بالحقائق الملموسة، وايمانها بالواقع المحسوس، هذه الفضائل بقيت محصورة في دائرة العائلة، وعلى مرّ الأجيال، نسيت هاته الفضائل، وصارت البنت تنمو في وسط تسمع فيه تحقيرها بأذنيها، وترى تفضيل الذكور عليها، وكثيراً ما تسمع ذمًّا في جنسها كله، مما أضاف إلى الثورة الحاضرة، وجعل للمرأة عذراً في المناداة بحقوقها، والواقع انها لا تنادي بحقوق، وانما تنادي باستعادة مكان ضائع، والاعتراف بفضائل أنكرت.

فاذا نظرنا إلى المجتمع، الذي تنادي بالدخول في غماره، وجدناه مكوّناً من شيئين: أحدهما كمالي وهو الفنون والآداب. فاذا سلمنا جدلاً انها بطبيعتها لا تنبغ فيهما لأن الفن والأدب يستلزمان مؤهلات خاصة، نتركهما للرجل يتمتع بهما ويخلد فيهما — والثاني ضروري — بل هو المجتمع بأجمعه، وهو الصناعة والسياسة. ومن جهة الصناعة فحسبكم روسيا الحديثة، فان المرأة أثبتت هناك ان هذا مجالها، ونجاحها في المسائل الصناعية جعل لها مكاناً ممتازاً، ومن يدري ربما كان انتاج روسيا الرائع في الآلات وغيرها هو من زيادة الأيدي باقبال النساء على الصناعة. ولقد أقبلنَ عليها بدون أن يضايقهنّ الحمل والولادة، فقد تكفلت الحكومة بمراعاة الحوامل، والالتفات للأولاد، حتى لا يكون منهم عائق للأمهات.

أما من جهة السياسة فقد راجعُ «برداخ» عصور النساء اللواتي تولينَ الحكم. فوجد ان عصورهنّ من أزهى عصور التاريخ. وذكر ذلك انه في اكثر القبائل نجد النساء هنّ اللاتي يتولينَ حل المشاكل ويتفاهمنَ على المسائل الكبرى.

وكذلك اثبتت البيانات الحديثة، وبخاصة في الحرب الحاضرة، نجاح المرأة في الأعمال الكتابية والادارية. اذا كانت هذه هي المرأة: هي السبب في عمران العالم، وهي التي قبلت التضحية، وهي التي رضيت باستعباد الرجل على شرط ان تحفظ قيمتها — وقد ظلمها الرجل، وأشاع انها قاصرة العقل، وأنكر عليها مواهبها — وحين يتغير العصر، وتعصف بالدنيا احوال جديدة، وحين تريد هي أن تبذل مواهبها الكامنة وتقدم استعداداتها للمشاركة في اصلاح العالم، يجيء من يقول لها: مكانك البيت! فتلتفت لترى «البيت». فاذا الحال غير الحال.. تراه مقفراً وقد خلا من معاني العائلة، وترى الرجل في حياته الجديدة، حياة العمل وحيداً، وتجده مرتبكاً، وقد ستر متاعبه بأنانية كاذبة؟ أليس لها الحق في أن تقتحم هذا المجتمع؟ أعتقد أن لها الحق وأعتقد أنها ستفوز ....

دكتور ابرهيم ناجي

الاتحاد القومى

داؤه وأدواؤه (١)

— ٢ —

تنبهت أمم أوربا منذ مئتي سنة وأكثر الى وجوب التخلي عن نعراتهم الدينية والطائفية وحصر تلك النعرات، وما بنيت عليه من عقيدة الدين ورسومه ورموزه ضمن نطاقها الطبيعي أي المعابد، وما يتصل بذلك عن قرب كمعاملة رجال الدين والدور الأسقفية والأوقاف المنتمية اليها ونحو هذه الأمور . وأما في ما خلاها ، وهو القسم الأكبر من مظاهر المعيشة وأحوال الحياة ، فقد أقاموا الرابطة الوطنية مقام تلك النعرات، وحمدوا كل الحمد مغبة هذا التعديل وهذا الاستبدال كما حصلوا عليه من راحة أيديهم وراحة بالهم وطيب سمعتهم في المدنية والرقي ومن معزة جانبهم ونيلهم الشيء الكثير من ربح مادي ومعنوي . أفلم يكفنا نحن اننا تأخرنا في هذا السبيل النبيل مئتي سنة عن أمم اوربا ، وهم في الاصل تلاميذ وطننا برقيهم وتنورهم . تلاميذ هذا الشرق اليائس وأبنائه عند احتكاك أجدادهم بأجدادنا في أثناء الحروب الصليبية بسورية ولبنان وفلسطين ، مدة تقارب مئتي سنة وكان منتهاها في نحو سنة ١٣٠٠ للميلاد . ثم باحتكاك الأجداد بالأجداد في بلاد الأندلس مدة ٧٥٠ سنة . وكان منتهاها في نحو سنة ١٤٧٠ للميلاد . وهذا التبدل المجيد المعقول بتغليب الرابطة الوطنية على كل رابطة سواها لم يقتصر على المشهور من أمم الغرب المبتدئة ذروة العلم والأدب والفلسفة والفن والصناعة، بل تجاوزه إلى أمة صغيرة غير عظيمة الحظ من هذه المزايا وهي مثلنا شرقية بتقاليدها ومشاربها وان حسبت أوروبية بموقع بلادها وأريد بها الأمة الالبانية أو الأرناؤوطية . فان الالباني شديد الحرص والغيرة على رابطته الوطنية والقومية . قليل المبالاة بكل رابطة تخالفها . أفتكون عقولنا في استيعاب هذا الناموس العمراني دون عقول الارناؤوط عشاق الطبنجة واليطقان ؟ .

ان الغربة التي تحرم صاحبها قوته ومعزته بحرمانه الاستناد إلى أهله ومحبيه ومراجع تربيته ومواقع غبطته ، ومن ثمّ تجعله بعيداً عن الغرور والطمع والعدوان ، هي خير محك المرء في استجلاء ميوله الطبيعية وفي استلهام وجدانه وغريزته . هذا شأن الغربة التي تصفي

النفس البشرية من كثير من أكدارها وأقذارها وتوسع نطاق معلوماتها عند اطلاعها على أشياء جمة كانت محتجبة عنها . استفتوا الغربة ومن يقاسون كربتها ووحشتها في ما نحن بصدده يخبركم كل مغترب مهاجر، وأنا كنت أحدهم، ان عاطفة الحب الوطني في أعماق نفسه تنتفض من تحت رمادها، وتتأجج نارها ويسطع نورها أضعاف ما كانت عليه، فيعلم حينئذٍ علم اليقين ان الرابطة الوطنية ليس من رابطة تعادلها أو تقاربها في عموميات الحياة، حتى إذا لقي أحد أبناء وطنه ولو لم يكن من عشرائه وأشكاله، شمله بوده وعطفه، وبذل مجهوده في إرضائه ونفعه .

ولا شك ان الذي أسلفنا ذكره من شأن النعرات الطائفية وتقاليدها يحسب العائق الأعظم في سبيل اتحادنا الوطني الذي هو شرط أساسي لا بد منهُ لأجل استحقاقنا الاستقلال وانتفاعنا بهِ واطمئناننا عليه . ولكن لا بدَّ لي من الاعتراف بأنه يعترض اتحادنا الوطني مع هذا العائق الأعظم عوائق أخرى لا يجوز غض النظر عنها وان كانت دونه سطوةً وتأثيراً ولا سيما عائقان منها . أولاً : ما تعوَّده أبناء الطائفتين في بلادنا من تفرقة وانقسام في مظاهر المعيشة من مساكنة ومعاشرة ومجالس لهو يومية واجتماعات مختلفة ونحو ذلك . فقد تعوَّدوا ان يتنحى بعضهم عن بعض في معظم هذه الأحوال . وضرورة الاتحاد تقضي بإنماء الألفة . وإنماء الألفة يقضي بإبطال هذا التنحي، واقامة التمازج الكافي مقامه . والعائق الثاني : حرص أفراد من أبناء وطننا على ابقاء النعرات الطائفية بيننا مع ما فيها من عار ومضار وسعيهم في تحقيق هذه الأمنية، لأنهم يتوقعون اذا فقدوها أن يفقدوا جل ما لهم من حول وطول ومغنم . ولهؤلاء الأفراد أتباع وأعوان ينصرونهم وأناس بسطاء تجوز عليهم حججهم الزائفة . ولكن ينتظر أن يكون بين هذه الفئات أصحاب فضل وفضيلة يرضون أن يضحوا بشيء من مصلحتهم الخصوصية في سبيل مصلحة الوطن العامة . واما الباقون فلا بدَّ من اجتذابهم الى السبيل السوي بالتي هي أحسن، وإلاّ فبالتي هي أخشن ....

وصلت الآن إلى شرط جوهري لا يقل في سمو شأنه عما تقدم معنا بيانه . وهذا الشرط هو أن يحصر نصارى العرب في بلادنا آمالهم بقوميتهم وبمن يترأسون هذه القومية ومن ينضوون تحت لوائها، حين يرون منهم اخلاصاً وروحاً وطنية نزيهة لا تجعل أقل تمييز بين فئات الوطن . ويدخل في هذه الناحية من بحثنا الحاضر الأبيات التالية من قصيدة لي نظمتها في مقام اقتضاها ولعلَّ المقام الحاضر أجدر بها من ذاك :

وطنية الشهم الكريم يمينه ويقينه ولو اللئيم ارتابا
وطنية الشهم الكريم فخاره ونضاره ان داء فقر نابا

وطنية الشهم الكريم تصونه   من أن يضيع الفهم والآدابا
فهو الذي يعطي القريب حسابه   وهو الذي يعطي الغريب حسابا
يدري لهذا حقه في أرضه   ولذاك حق الضيف يقرع بابا
لا تظهروا بالحزم ضعفاً لا ولا   بالعزم عنفاً جائراً صخابا
هذي هي الوطنية المثلى التي   تبغي رجالاً لم تكن أنصابا
هذي هي الوطنية المثلى التي   تروي القلوب وتبرىء الأوصابا

***

ولا بد لنا هنا من التصدي لملاحظة تخطر على بال كثيرين ومؤداها ان الطائفة الاسلامية في بلادنا هي اكبر الطوائف الدينية وأقواها ، فلا غرو ان يكون لها حق التصدر والامتياز في كل أمر من أمورنا وكل حالة من أحوالنا .

والجواب على هذه الملاحظة إيجابي محض . فالطائفة الاسلامية هي أكبر وأعظم طوائف هذا الوطن فلها حق الصدارة والامتياز . وهي حاصلة اليوم على هذا الحق بكيانها المعنوي في التعيينات والانتخابات والتشريفات وغير ذلك من مظاهر رسمية وشبه رسمية ما دمنا جارين في هذه الأمور على النسبة الطائفية ، وهو مجرى خطر قبيح مخجل كما تقدم معنا بيانه. والأمل ان نتخلص من هذه الخطة في أقرب وقت . وهيهات ان يفقد اخواننا المسلمون شيئاً اذا فقد من بيننا هذا التدبير الوبيل . فان لهم من كثرة عددهم وكثرة أهل العلم والفهم فيهم ونشاطهم ونضج تجاربهم واختباراتهم، ما يصون حقوق افرادهم كل الصيانة، فيظل مجموع ما يحرزونه فوق كل مجموع آخر ، ويظل لممثلي الدين بينهم حق التقدم في المواقف والأحوال التي لها علاقة طبيعية بالدين والطائفة ، دون ان تسطو على ما هو خارج عن هذه العلاقة مما نشاهده في خططنا الحاضرة .

إلاّ ان المسلمين والنصارى اذا ألغوا من بينهم قاعدة النسبة الطائفية في الأعمال والمعاملات فهم لا يفقدون إلاّ شيئاً واحداً . أتعلمون ما ذلك الشيء أيها السادة والاخوان ؟ انهم يفقدون حينئذٍ الخطر الداهم على جسم وطنهم الشريف وروحه الطاهرة .

ادوار مرقص

عضو المجمع العلمي العربي

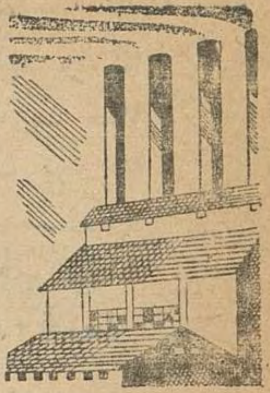

إعداد الفرد

لتأسيس مجتمع صالح

لا أكون مبالغاً اذا قلت ان هذا الموضوع يشغل في الوقت الحاضر جميع الأذهان . بل سيظل شاغلاً لها ما دام الفرد عندنا على هذا الوضع وفي هذه الحال التي نرى . وان كنت في ريب من هذا ، فتسمَّع الى الناس في الطريق وفي غير الطريق . في مجتمعاتهم الخاصة والعامة ، فماذا يقولون ؟ انهم يسبون هذا الزمن ويلعنون الناس . ويستجيرون بالله من فساد الأخلاق وخراب الذمم ، والكل تقريباً في تشاؤم وقليل من تراه متفائلاً ينتظر صلاح الحال . وهذه الثورة الفكرية هي في نظري أول مراتب الكمال . فما دمنا نطمح إلى الرقي وما دامت مصر ترى أن تساهم بنصيب في رفع المستوى الانساني ، ينبغي أن نعمل جادين في سبيل إيجاد فرد قوي يتكوَّن منه مجتمع صالح لتلك الحياة الجديدة التي ستخلفها لنا هذه الحرب العبوس . ينبغي ان نعمل حذرين مما لا يتفق فيها مع ما ورثناه من عرف صحيح .

وسأبني كلمتي في هذا الموضوع على أساسين اثنين : —

الأول : إن الحضارات كلها تقوم على الفرد ، بمعنى ان العلم الذي أوجد الطائرة أو المذياع أو الكهرباء ، هو نتيجة عمل الفرد أولاً ، لا عمل جماعة . وعلى ذلك يجب أن تقوم الدولة على خدمة الفرد ، وأن تسير الأوضاع فيها على ذلك لا على نظم من مقتضاها أن يضيع الفرد في الدولة .

الثاني : ان سعادة الفرد خاضعة للظروف والأحوال التي تحيط به ، لا أن سعادته خاضعة لاستعداده النفسي فحسب ، كما يذهب بعض فلاسفة الأخلاق . وعلى هذا سأطرح من حسابي من يدين بهذا المذهب الأخير ، لأنهم أقلية لا يصح أن نأخذ بهم حكماً عامّاً .

ولننظر الآن الى الواقع من أمر الفرد في مجتمعنا الحالي ، وذلك بالنظر إلى ما يحيط به من حيث الصحة والمرض والغنى والفقر ، والعلم والجهل . ثم ننظر فيما يجب أن يكون عليه الفرد لتأسيس مجتمع صالح لهذه الحياة الجديدة التي ستقابله حتماً بعد أن تضع هذه الحرب أوزارها.

فهل الظروف المحيطة بالفرد عندنا الآن ترضى عنها عزتنا القومية وماضينا المجيد ؟ وهل من شأنها أن يشعر الانسان معها في الأغلب الأعم ، بحسٍّ مريح أو بحسٍّ مؤلم ؟ إذا نظرنا إليها من حيث الصحة والمرض رأينا عجباً . فلقد أثبت المغفور له المرحوم عبد الواحد الوكيل بك في محاضرة له بناءً عن احصاء سنة ١٩٣٨ أن في مصر من الأمراض ما لو قسم على عدد السكان لخرج كل فرد بثلاثة أمراض . وأثبت أن مصر في وفيات الأطفال متأخرة حتى عن الهند . وأن ٧٥ ٪ من عدد السكان مصابون بمرض البلهارسيا و ٥٠ ٪ بالانكلستوما . ومثل هذه النسبة الأخيرة مصابون بالديدان المعوية . وأحسبني من هذه الناحية لست في حاجة الى الكلام بعد هذه الأرقام وبعد هذه النتيجة التي تعتبر وصمة في جبين الأمة بأسرها . فهذه الأمراض تحط من قيمة الفرد مادياً ومعنوياً ، فهي من ناحية لا تمكنه من الموازنة بين انتاجه واستهلاكه، ومن ناحية تجعله في شذوذ خلقي بحيث لا يستريح معه غيره في عشرة أو معاملة . وكل ذلك وبال وخسران .

***

وإذا نظرنا في واقع الأمر مع هذا الفرد من جهة الغنى والفقر رأينا حالاً ليست بأحسن مما قد رأينا . ذلك أن النظام الاقتصادي في هذا البلد قائم على أساس ليس من شأنه أن يحقق للفرد حياة سعيدة . وإلاّ فأي نظام ذلك الذي يقضي بأن يأخذ ٩٣ ٪ من الملاك ٢٠ ٪ من الأراضي الزراعية، ثم يقضي بالباقي وهو ٨٠ ٪ من مجموع الأراضي لـ ٧ ٪ من عدد الملاك . ولست أقصد هنا أن نسلب مالكاً حقاً مكتسباً . فانا لو قسمنا الأراضي على الأفراد بالتساوي لما خرج الفرد الواحد بعشر قراريط . بل أقصد أن أقول إن هذا النظام نشأ عنه بعد النسبة بين طبقات الشعب . فعلى من يريد أن يعد الفرد لمجتمع صالح — والكل طبعاً مريد — عليه أن يعمل أولاً وقبل كل شيء على التقريب بين طبقات الشعب، ويكون ذلك من طريق الضرائب التصاعدية بحيث يعفى منها الفقراء وصغار الموظفين، على أن يتحمل الضريبة كبار الأغنياء بنسبة تتصاعد بزيادة الثروة . هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى لا يجوز أن تبيح الدولة لزيد من الناس أن يمتلك من الأرض القابلة للاصلاح من غير أن تشترط عليه اصلاحها في زمن محدود . فانا نرى فلاناً من الناس يمتلك من هذه الأرض ما يربو على الألف، ثم يتركها للزمن على حد تعبيره من غير أن يجري فيها إصلاحاً يذكر، وبجواره من الأسر ما لو وزعت عليهم هذه الأرض ملكيات صغيرة ، لأصلحوها واستثمروها وعادت عليهم بالخير وعلى المجتمع بالأمن .

ننظر بعد ذلك الى الظروف المحيطة بالفرد عندنا من حيث العلم والجهل . وهنا سوف لا أنظر إليها من جهة الكم أو الكيف ، بل سأنظر إلى النتيجة التي يخرج الفرد بها عندنا

من هذا التعليم . فقديماً قالوا : « القدم يدل على المسير » فهل واقع الأمر نتيجة لهذا التعليم، أن الفرد يخرج من هذه المرحلة مزوداً بالعادات والآداب العامة التي يكون لها أثر صالح في سلوكه الشخصي ، يقربه من الفضيلة ويبعده عن الرذيلة ؟

هل يخرج الفرد من هذا التعليم قادراً على أن يشق لنفسه طريقاً قويّاً في الحياة ؟ هل يخرج الفرد من هذا التعليم مغرماً بالاطلاع والبحث الشخصي بعد المدرسة ؟ هل خلق هذا التعليم للفرد عقلية ممتازة بالنظام الذي يظهر أثره في حياة الفرد والأسرة ؟ هل هدانا هذا التعليم إلى حل مشاكلنا الاجتماعية ؟ وهل أخرج لنا هذا التعليم فرداً مستقلاً في عمله حراً في رأيه ذا شخصية محترمة له إرادة وفكر لا يخجل ولا يتردد ولا يخاف من مسابقة نظرائه في المجتمعات الطيبة ؟ الأحوال والأرقام تنطق بالعكس . فمثلاً كان عدد المتعطلين عندنا في سنة (١٩٢٧) ٢١٦٢٤٣ أتدرون كم وصلوا في تعداد سنة ١٩٣٧ ؟ إنهم وصلوا ٤٧٨٤٨٦ أي الى الضعف تقريباً، وفي كم سنة؟ في عشر سنوات. وهذه نتيجة ليس من شك في أنها تقلق بال الغيورين على شؤون هذا البلد .

أنظروا إلى المرافق الحيوية في البلاد تروها ليست في أيدينا ولو كان توجيه التعليم عندنا حسناً لما كان هذا . نحن لا نزال عيالاً على غيرنا حتى في السماد الكيماوي ، بالرغم من أن بلادنا زراعية . أنت حينما تمشي في شوارع القاهرة الكبرى تكاد تسلم بأنك غريب في بلدك . أين نحن في هذه الناحية إذاً، ممن يحاولون الآن إسماع الصم بوساطة الأسنان؟ وأين نحن ممن يحاولون إخضاع الطبيعة لتجمع لهم غيومها في مكان واحد وتفرغ ما بها فيه . إنهم الآن يحاولون اختزان أشعة الشمس لما رأوا أن مادة الوقود يخشى من نفادها في هذه الحرب الضروس التي لا تبقي ولا تذر . الحق أن هذه الناحية هي الأخرى تحتاج إلى وضع جديد يلائم روح العصر، ويتمشى مع ما ورثنا من عرف صحيح .

***

نستطيع إذاً بعد هذا العرض السريع أن نقول إن الظروف المحيطة بالفرد عندنا ليس من شأنها أن توجد فرداً سعيداً يحيا حياة فاضلة — وطبعاً نفتح باب الاستثناء لأقليّة، هي في الواقع مثل للفرد الفاضل عندنا بلا نزاع — لذلك لا نكون مبالغين إذا قلنا إن الأفراد عندنا الآن يحيون حياة مبعثرة مرتبكة مضطربة ليس فيها انسجام حتى بين أعضاء الأسرة الواحدة . بل هناك خصام وتنازع وشقاق وفوضى جرّتها علينا هذه الظروف المحيطة بالفرد . اترك الأسرة وانظر إلى نفسك في خارج بيتك وفي عملك، أترى في عملك اطمئناناً ؟ كلاّ ، بل

هناك حقد وحسد ودس ونفاق وكذب. لماذا؟ لأن الظروف المحيطة بنا كوّنتنا على هذا الوضع. هذا ولأن العدل الاجتماعي لم يُنَفَّذ بعد بكل ما تحمل هذه الكلمة من مدلول. لذلك لا تعجب إذا أنت قد رأيت الكذاب الذي يشيع عنك السوء لحاجة في نفسه. ولا تعجب إذا أنت قد رأيت المتزلف الذي يشبع شهوته على حسابك. وفي النهاية لا تعجب إذا أنت قد رأيت مجتمعاً مريضاً. وما دمنا نعترف للفرد بحق الحياة، فالطريق إذاً لاعداده إعداداً حسناً أحد أمرين اثنين لا ثالث لهما: إما أن نعده شريراً خبيثاً جباناً سارقاً منافقاً ليلائم بينه وبين بيئته، ويكيف نفسه وفق هذه الظروف المحيطة به ليعيش كما تدفعه الغريزة. وهذا طبعاً لا يرضى عنه دين، ولا ترضى عنه فضيلة، بل ولا يرضى عنه عقل سليم، بقطع النظر عن الدين والفضيلة: فالفسق مثلاً لو لم يحرمه الدين لحرمته الفطرة السليمة. وإما أن نحسّن للفرد هذه الظروف المحيطة به، وهذا هو الاصلاح من بابه. أما أن نترك الظروف تنخر في عظام الافراد ونفوسهم ونطلب منهم بالكلام والكلام فحسب، أن يكوّنوا لنا مجتمعاً صالحاً، فهذا الغاء للعقل، ومنطق معكوس، ووضع للشيء في غير موضعه.

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا مضرٌّ كوضع السيف في موضع الندى

والاّ فكيف تطلب من الفرد ألاّ يسرق وأنت تسرقه. كيف تطلب منه ان يعدل وأنت تظلمه. وكيف تطلب منه أن يزهد في الدنيا وأنت منها متخوم. علموا الأفراد معنى العدل برفع الظلم عنهم. علموهم معنى الحرية برفع الاستبداد عنهم. علموهم معنى الصدق بعدم الكذب عليهم. وما أحوجنا في هذه الناحية الى القدوة الصالحة وضرب الأمثال حين نوجه الأفراد.

***

ولتحسين هذه الظروف المحيطة بالفرد، ينبغي أن نتجه الى التجارة والصناعة بجوار الزراعة وأن نجعل التربية هي الغرض من التعليم، لا مجرد حشو الذهن بمعلومات فارغة لا تنفع الانسان حين يخرج الى معترك الحياة. والآن وإلى أن نحسن هذه الظروف، ينبغي أن نعلن الحرب على أنفسنا، فليتعرّف كل منا عيوب نفسه، وليحاربها بغير هوادة حتى يردها الى الصراط السوي، ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه.

منصور رجب
المدرس في كلية أصول الدين

ذوقوا فتنتكم

نشرت مجلة ساينس ديجست Seience Digest الاميركية في عددها الصادر في شهر مارس الماضي مقالاً بعنوان : « الاسترخاء طريق المصريين في الحياة » نكتفي بترجمة فقرات منه والتعليق عليها ، فان ترجمة ذلك المقال بحروفه أمرٌ يجر الى أشياء نتحرز من الخوض فيها . قال الكاتب :

« منذ آلاف من السنين ، وضع المصريون مشروعاً حكومياً لتشييد المباني ، فأنتج ذلك المشروع الاهرام وأبا الهول . وإذا خدم المصري صديقاً مدفوعاً لذلك بدافع الكرم ، فقد لا يتورّع عن أن يطلب ما يسميه البقشيش . وليس هذا لأنه في الحقيقة يريد بقشيشاً ، بل لأنه يريد أن يمد العلاقة بصاحبه بمتابعة كلام يستهويه به » .

« ان احتقار المصري للمال يظهر جلياً من أسلوبه في التجارة . فاذا فرض ان رجلاً طماعاً أخذ يتاجر ، فانه يجتهد أولاً في أن يقع على شيء يحتاج اليه الناس ويشتريه بأقل مما يساوي ، ثم يبيعه بأكثر مما اشتراه به ، وليس المصري كذلك . فان المصري إذا اراد الاتجار يعمل بطريقة مصرية فذة . فيجمع قليلاً من زمارات الغاب القديمة ويضمها بعضها الى بعض أو يحصل على عناكب مصنوعة من الجص أو زجاجة فارغة من زجاجات الوسكي يضع فيها سمكات ويمشي بها في الطرق العامة باحثاً عمن يبيعها اليه » .

« لا شيء حقير عند المصري ، فلا يمعن فيه تأملاً واستبصاراً . فانه يقف أحقاباً متطاولة ليقرر بأية قدميه يبدأ المشي . وقد يظل ساعات جالساً ليقرر هل يقوم » .

« يتكلم المصريون لغة لا يشاركهم فيها أحد . ويدل على جمالها ذلك المدى الواسع الذي يستعملونها فيه . فانهم يتكلمون بغير توقف وبحماسة . واللغة المصرية المكتوبة أشبه شيء بخط محسن من الاختزال ، وقد نشأت بالطبع مع الفراعنة . ويحب المصريون الصور المتحركة الأميركية ومسرحيات وليم شكسبير ولاسيما عُطَيل » . (وقد خصّ الكاتب مسرحية عُطَيل بالذكر لأن بطلها من البربر وفيها تصوير لناحية الشهوة الجنسية وحب الانتقام والفتك)

ولا أدل على جهل ذلك الكاتب من قوله ان المصريين كالألمانيين ، يعتقدون ان تخميش الوجه يدل على حسن الخلق ، فيخمشون وجوههم

« ان صداقة المصريين تمتد الى جميع الحيوانات كبيرة وصغيرة ، من الجمل الى الصرصور . ويجدون في الحمار وسيلة أمثل من السيارات للجولان في أنحاء بلادهم »

« ان هذه الحمير هي من مملوكات هذه الأمة المتوارثة . فان حماراً مصريًّا من الصنف الجيد قد يحمل مصريًّا أثقل منهُ وزناً . فاذا ركب أب مصري حماره جلس على مؤخرة ظهره وبقية الأسرة من أمامه »

« ان المعزى ذائعة في مصر . وقد تعيش في المدن أو في الأقاليم في داخل البيوت أو في خارجها ، بمقتضى حالة الجو . وقد يعامل المصريون حتى الحشرات ، معاملة القديس فرنسيس للعصافير » .

« يغشى القاهرة قطعان من البواشق الأليفة تعيش على كرم الناس . والعصافير تجثم على الموائد وتقتات بفتاتها ، وللمصريين عيون سود ، ولون يختلف من لون القهوة الممزوجة باللبن الى لون الفحم الحجري » .

« لعلمه بانه يعامل أناسي فيهم رصانة وتعقل ، تجد ان الذباب المصري آلف من غيره من الذباب في أماكن أخرى . فبدلاً من أن يطير مؤزًّا لاقل سبب ، يشعر الذباب المصري إنه في بيته ، إذا ما وقف على جبهة واجتهد في أن يبني عشه هنالك » ...

* * *

إذا قيل هذا عن مصر في هذا العصر ، فانه يدل على ان الكاتب وأمثاله إنما يستغلون شهوة الجمهور المضلل في أميركا ليكسبوا المال من أخس وجوه الكسب . فان مصر التي أنشأت أقدم مدنيّة عرفها العالم وكانت ضفاف نيلها مرصعة بالمدن والهياكل والمعابد عند ما كانت القارة الأميركية خواء خلاء يسكنها البهور والقاطور والبوما ، تتقبل هذه الهدية من ذلك الكاتب كما يتقبل البحر الواسع الجيفة المنتنة . فكم من جيفة ابتلعها البحر ، وكم من جيف سوف يبتلعها على مرّ الزمن ، فلم تتكدّر من صفوه ولم تغيّر من طبعه .

إن الوجوه التي يعشش فيها الذباب في مصر لأشرف الف مرة ومرة ، من تلك الوجوه التي نعرفها في شيكاغو وعصابات شيكاغو . من وجوه آل كابوني وديلنجر وأمثالها من عصابات الكوكلوكس كلان . إن هذه الوجوه وجوه بريئة ، والجباه التي يقف عليها الذباب لا تمر بها ذكريات كذكريات استئصال الهنود الحمر ، وذكريات حروب الاستئصال التي شنها أهل جنوب أميركا على سكان أميركا الاصليين . واذا أردت أيها القارىء ان تعرف شيئاً من

عقدة التربية

تعالى الله . لا ندري أصحيح ما نعلم من طبائع الاشياء ، أم نحن بيننا وبين الواقع حجاب من الاصلاح اللفظي ، وان وسائطنا لادراك الحقائق ليست إلا حواسنا غير الكاملة المتغيرة في كل لحظة. ليكن ما نعلم منطبقاً على الواقع من أمر تلك المعلومات . فهل نحن نعلم شيئاً كثيراً من خواص الاجسام التي بين أيدينا نتخذها موضوعات للتحليل والتركيب والمشاهدات ؟ وهل نحن نعلم طبائع ما فيها من القوى ذات الآثار المادية اليومية والمستمرة في حياتنا الدنيا حتى نستطيع أن نكيف نفس الطفل ، تلك النفس الطلعة المتمردة ، وذلك العقل الوثاب الذي لا يقر على شيء ، مع اننا لا تستطيع مشاهدتنا أن تضع قانوناً ثابتاً لحركات الطفل المادية . فانه ينط في البيت وفي الارض من هنا الى هنا ، ولو شددنا وثاقه لظلت تلعب أطرافه في كل الاتجاهات .

ليس معنى ذلك أن نكف عن البحث في قوانين التربية ونيأس نهائياً من الوصول الى اكتشاف الغرض الاخير ، والوسائل المؤدية لهذا الغرض لنحصل على المثل الأعلى للرجل . ذلك ما لا نريد ، وفي ظني اننا لو أردنا لما استطعنا تنفيذ تلك الارادة ، لان هذا الشوق الى الكمال يظهر عليه انه بعض طبائعنا . ولكننا نرمي بما نقول الى أن التربية الانسانية عقدة ما ظنناها حلت الى الآن ، فلا بد أن يكون الخوض فيها مصحوباً بالمحاسبة بعض الشيء . ويكون تقرير خير الطرائق بغلبة الظن لا بالصورة القطعية .

احمد لطفي السيد باشا

نقلا عن الجزء الثاني من « المنتخبات » هدية المقتطف المقبلة

تاريخ هذه الوجوه التي لا يعشش فيها الذباب ، فارجع الى كتاب « سياحة حول الأرض » للعلامة دروين لتعرف كيف يكون فن القتل وفن الافناء بدم أبرد من أن يحس به الذباب الذي لا يعشش في وجوه أولئك .

نعم اننا لم نخترع المدفع الرشاش ، ولا البارجة الحربية ، ولا القنابل السامة . وخيرٌ لنا ان يعشش الذباب في وجوهنا من أن يخترع لنا التاريخ ذباباً خاصاً يرصع به جباهنا تلقاء تلك المخترعات ، أشبه بذاك الذي سيخترعه لاولئك الذين نشّئوا مدنية صناعية مادية ، ثم أخذوا يقوّضونها ، لأن أرواحهم لا تحتمل الذباب ، إذا أراد أن يعشش في وجوههم

إن مصر والشرق العربي كله من ورائها لن تنمى حسنة تأتيها من إنسان . ولكنها لن تتجاوز عن سيئة ترمى بها . وان الامة الأميركية الحرة ، لتنظر الى أمثال هذا الكاتب نظرة استخفاف ، عالمة ان تبادل الاحترام بين الشعوب أساس المودة والاخاء وتبادل المنافع .

الانجليزية الاساسية

يكثر الكلام في هذه الأيام عن لغة جديدة تسمى « الانجليزية الأساسية » أو Basic English . وكلمات هذه اللغة انجليزية ولكنها ليست كل الانجليزية، إذ هي لغة كاملة بمعنى ما، أي من حيث التعبير عن الحاجات المألوفة سواء بالحديث أم بالكتابة . وكلماتها ٩٤٦ كلمة مختارة من الكلمات الانجليزية التي يجري استعمالها أكثر من غيرها، كما تمتاز أيضاً بوضوح معانيها، وقواعدها هي قواعد اللغة الانجليزية ، بحيث ان من يتحدث بها أو يقرأ بعض مؤلفاتها من الانجليز أو الأميركيين، لا يشعر بأنه يقرأ لغة جديدة تقل كلماتها عن الف كلمة.

وقد كثر الاهتمام هذه الأيام بهذه اللغة التي وضعها صاحبها « أوجدين » منذ أكثر من خمس عشرة سنة . والسبب في هذا الاهتمام يعود إلى الاتجاهات والفكريات الجديدة التي بعثتها هذه الحرب . فان الدنيا كلها تكاد تلهج بلهجة فكرية واحدة ، هي ان هذا الكوكب يحتاج الى نظام للأمن العام يعمه كله، فلا يجوز لأمة أن تثب فجأة الى الغزو والفتح كما فعلت المانيا . وهذا الاتجاه هو الذي نجده في ميثاق الاطلنطي، وفي الحريات الأربع، وفي كثير من خطب الرئيس روزفلت، وتصريحات المسئولين في الأمم المتحدة .

ولا بد أن الاتجاه نحو نظام كوكبي ، يعم فيه الأمن والطمأنينة جميع الأمم الصغيرة والكبيرة ، يبعث أيضاً الاهتمام أو على الأقل التفكير في لغة عامة . وليس هذا التفكير جديداً في أيامنا ؛ وليست الحرب القائمة السبب الوحيد فيه . فاننا كلنا نذكر لغة « اسبيرانتو » ولغة « نوفالي » اللتين حاول الذين وصفوهما وروّجوا لهما ، تعميمها بغير نجاح كبير . والميزة الكبرى لكل من هاتين اللغتين انها تحتوي كلمات ترجع في أصولها وتأليف جملها إلى اللغات الاوربية بحيث ان الانجليزي أو الفرنسي أو الهولندي أو الالماني لا يجد مشقة كبيرة في تعلمها . ولكن كلاً من اللغتين جديدة . أما « الانجليزية الاساسية » فليست جديدة ، لأن الذي يتعلم الانجليزية يعرف كلماتها ولا يجد كلمة واحدة غريبة فيها . وقد كان غرض « أوجدين » واضع هذه اللغة أن يهتدي الى لغة اقتصادية تحوي جميع الكلمات الضرورية ، بحيث يمكن الأجنبي أن يتعلمها في نحو شهرين أو ثلاثة أشهر . وقد جمع نحو تسعمئة كلمة عني باختيارها

عناية كبيرة جدًّا . وحسب أن المتعلم لا يحتاج الى أكثر من شهرين إذا كان سيستظهر خمس عشرة كلمة كل يوم أو ثلاثة أشهر إذا كان سيستظهر عشر كلمات فقط كل يوم . ومما يدل على قيمة هذه اللغة انه أمكن تأليف الكتب الجدية بها في العلوم والآداب والاجتماع والتاريخ الخ .

ويجب هنا أن نزيل التباساً . فان « الانجليزية الأساسية » ليست كل ما يجب على المتعلم أن يتعلم . ولكنها هي البداية التي تمكن المبتدىء من قراءة أكثر من مئة كتاب ألفت بها، وأيضاً من التوسع بتعلم كلمات أخر . والنجاح الأول يحفز على الاستمرار في التوسع والدراسة. ولذلك فان المستر «أوجدين» الذي وضع ٩٤٦ كلمة قد ألف معجماً يحوي عشرين ألف كلمة مشروحة بالانجليزية الأساسية .

وكلمة « الأساسية » تعني ان اللغة تتصف بصفة الأساس . وهي كذلك . وقد قصد المؤلف إلى هذه الغاية . ولكنه مع هذا يقول ان الكلمة Basic مؤلفة من حرف B لكلمة بريتش أي بريطاني . وحرف A لكلمة اميركان أي أميركي . وحرف S لكلمة سينس أي العلم. وحرف I لكلمة اَنْتَرْنَاشَنَال أي الدولي أو العالمي . وحرف C لكلمة كوميرشيال أي التجاري . فكلمة « بيسيك » تعني انها لغة بريطانية اميركية علمية عالمية تجارية .

واللغة كلها مؤلفة من ٩٤٦ كلمة انجليزية ، وليس فيها من الأفعال سوى ثمانية عشر فعلاً ، وسائر الكلمات أسماء وحروف وظروف الخ . وقد اختيرت هذه الكلمات باعتبار إنها ضرورية كثيرة الاستعمال . فنحن نجد فعل Will بمعنى يريد، ولكننا لا نجد فعل Shall بهذا المعنى ، لأن الأول قد أغنى عن الثاني . ونحن الذين تعلمنا الانجليزية وحطمنا رءوسنا في تفهم الفروق الرقيقة الدقيقة بين Shall و Will نأسف لأننا لم ندرك «الانجليزية الأساسية».

والآن لا بدَّ أن نتساءل: كيف اختار المستر «أوجدين» هذه الكلمات والى أي المبادىء استند ؟

وللاجابة على هذا التساؤل نقول: ان المستر «أوجدين» قبل أن يكون لغويًّا كان من رجال السيكلوجية أي علم النفس المعدودين . وقد وجد نفسه انه وهو يؤلف كتاب «معنى المعنى» انه استغرق في دراسات حملته على أن يبحث الكلمات من حيث قيمتها في التفكير . فوجد أن بعضها يؤدي الى الدقة والفهم . وبعضها لا يؤدي الى غير الغموض والابهام . ووجد ان في الانجليزية من المترادفات واشباه المترادفات ، ما يمكن الاستغناء عنه دون أي نقص أو خلل يصيب التعبير . ففكر في إيجاد لغة يتيسر تعلمها في أقل الوقت وبأقل المجهود ، فكانت « الانجليزية الأساسية »

والباعث الأصلي ان «أوجدين» أراد الوصول الى لغة دقيقة محكمة تؤدي المعنى الذي نريد

بلا زيادة وبلا نقص، كما يدل على ذلك اسم كتابه « معنى المعنى » فهو في هذا الكتاب يشرح التغيرات التي تطرأ على معاني الكلمة بانتقالها من مناخ ذهني الى مناخ ذهني آخر . وبعد عناء ودراسة فكر في إيجاد لغة حسنة يتيسر تعلمها في أقل الوقت وبأقل المجهود . فكانت « الانجليزية الاساسية »

ففي اللغة الانجليزية مثلاً كلمتا small و little بمعنى واحد تقريباً ، وكذلك large و big وكذلك commence و begin وكذلك band, riblon, strip وكذلك skin, rind, jacleet, peel وكذلك thread, toine, cord, string, rope فهو يستغني بكلمة عن هذه المترادفات . فهو يأخذ thread بمعنى خيط فيسمي الحبل « خيط ثخين » a thick thread ويستغني بذلك عن rope و cord و twine و strip وهو يستعمل skin بمعنى جلد للانسان والشجرة والثمرة .

والغرض الأول من « الانجليزية الأساسية » هو تيسير اللغة لمن يريد تعلمها من الغرباء عنها ، وكذلك تيسيرها للمبتدئين من أبنائها . أما الغرض الثاني فهو امكان استعمالها لغة اضافية لجميع أبناء الامم الأخرى . لأنها تفضل لغتي الاسبيرانتو والنوفالي . اذ هي تمتاز منهما بانها كما قلنا — ليست جديدة إذ ينطق بها أكثر من مئتي مليون، وهي حافلة بالمؤلفات والصحف . في حين ليست للغتين الآخريين شيء يستحق الذكر من المؤلفات أو الصحف . وقد أدخل المستر «أوجدين» في لغته اكثر من خمسين كلمة تستعمل في جميع اللغات مثل تليفون . اتومبيل . تلغراف . راديو . بار . هوتيل . كلوب . فالاجنبي الذي ينوي تعلم « الاساسية » يجد قبل أن يتعلم منها حرفاً، انه يعرف نحو خمسين كلمة منها، لأنها كانت جميعها في لغته الاصلية .

ثم هو عند ما يتعلم هذه اللغة يستطيع أن يتوسع . وهو في توسعه سيحتاج إلى كل كلمة من « الاساسية » إذ ليست فيها كلمة مضيعة أو مخزونة أو نادرة الاستعمال ، كما هو الشأن في جميع لغات العالم .

وقد اختار «أوجدين» لهذه اللغة ثمانية عشر فعلاً ، واستغنى عن جميع الأفعال الأخر في اللغة الانجليزية . وأفعاله هذه هي

Come, get, give, go, keep, let, make, put, seem, take, be, do, say, see, send, begin, may, will

وقد نعجب كيف يمكن أن تكفي ثمانية عشر فعلاً للغة ! ولكن « أوجدين » يستعمل الأسماء الكثيرة مع الأفعال القليلة ، فيصل منها إلى كل ما يحتاج اليه المتكلم أو الكاتب في الحاجات المألوفة . ولننظر مثلاً إلى فعل go فان هذا الفعل يمكنه أن يؤدي نحو عشرين معنى فنقول مثلاً

يحيط	go round	يجري	go very fast
يعبر	go across	يدخل	go in
يسافر	go away	يتابع	go on
يتعقب	go after	يطوف	go from place to place
يعود	go again	يخرج	go out
يهجم على	go against	يخترق	go through
يسبق	go before	يزور	go to
يمر	go by	يصعد	go up
ينزل	go down	يشاكل	go with
يذهب ليحضر	go for		

وفي اللغة الانجليزية نحو أربعة آلاف فعل، ولكن «أوجدين» يقول ان استعمال ثمانية عشر فعلاً يقوم مقامها، أو على الأقل يقوم مقام أكثرها وهو هنا بمثابة من يستعمل فعل ذهب فيقول:

ذهبت حول الحديقة بدلا من طوّفت. وذهبت من جانب الى آخر بدلاً من عبرت.
وذهبت الى الاسكندرية بدلاً من سافرت. وذهبت خلفه بدلاً من تعقبت.
وذهبت الى سفح الجبل بدلاً من نزلت. وذهبت الى قمة الجبل بدلاً من صعدت.
وذهبت بسرعة بدلاً من عدوت. وذهبت الى منزله بدلاً من زرته.
وذهبت خارج الغرفة بدلاً من خرجت. وذهبت الى الغرفة بدلاً من دخلت.

وواضح ان ثمانية عشر فعلاً تستطيع أن تؤدي مع نحو ثمانمئة اسم وحرف وظرف، آلافاً من المعاني، اذا اتبعنا هذا الأسلوب. وهذا الاقتصاد في الكلمات يشجع الاجانب على تعلم الانجليزية. فان اللغة كلها تكتب كلماتها في ورقة واحدة تلحق بالكتب المؤلفة بهذه اللغة، وهي كما قلنا تزيد على مئة كتاب تعالج الفنون والعلوم والآداب وتترجم مجلداتها من مئة صفحة الى أربعمئة أو خمسمئة صفحة.

وسواء قدّر لهذه اللغة أن يتعلمها أبناء الأمم الأخرى أم لا، فانهُ من الجلي أن الطريقة التي ألفت بها، تجعل تعلمها للمبتدئين ميسراً. وكثير ممن شرعوا في تعلم الانجليزية انقطعوا عن متابعة الدراسة وهم في وسط الطريق لوفرة ما فيها من كلمات تزحم الذهن وتبلبله، مع أن القليل من هذه الكلمات المختارة في «الانجليزية الاساسية» يكفي للتعبير الدقيق والفهم الصحيح. وإذا كان المبتدىء سيجد نفسه قادراً على أن يقرأ نحو مئة كتاب في مختلف المعارف البشرية، فانه سيتجرأ ويتغلغل في الانجليزية، وعندئذٍ تنفتح أمامه مملكة كبرى من ممالك الفكر، لا يقل ما يطبع فيها في اليوم عن مئتي كتاب جديد.

سلامه موسى

تطورات الاجتماع الانساني بين حربين

الاتجاه الحضاري

لديمقراطية الغد

تجوز الانسانية اليوم مرحلة حاسمة من مراحل تاريخها الحافل ، وتشرئب أعناق روّادها والمهيمنين على أقدارها إلى رحاب الآفاق الجديدة ، ليتلمسوا من بين أحداث الحاضر ووقائع الماضي أوضاع الحقائق السياسية والاقتصادية التي يجب أن يقوم عليها عالم الغد ، وهو عالم عقدت عليه هذه الانسانية آمالها الكبار ، عساها تنعم في ظلاله بحياة رخاء وإخاء وسلام لا يقصر لها أجل .

واستقراء الأدوار التاريخية التي جازت بها الحضارة الانسانية في مختلف صورها وعصورها ومناشىء تكوينها ، يقطع بأن هذه الحضارة المتحركة ستظل محكومة بقانون أبدي هو قانون التطور الاجتماعي ، بمظهريه المادي والروحي .

فمادية التاريخ ، سواء على الوضع الماركسي المتطرف ، أو الوضع الرأسمالي الجشع ، أو الوضع الاشتراكي المعتدل ، ليست سوى السناد الجوهري أو المادي لشتى نظم العمران التي تناوبت عالمنا الأرضي منذ فجر حضاراته . أما روحية التاريخ أو حركة العقل في مسالك الزمن ، على حدّ ما ذهب اليه الفيلسوف «هجل» ، فهي الصورة أو الأسلوب الذي تتطور به الأحداث المادية لتاريخ الانسان ، والقالب الذي تنصب فيه اتجاهات نشاطه في هذه الحياة ، ومن هنا كان العقل والمادة كلاهما ملاك الحياة الانسانية كلها ، لا عمل لقانون التطور إلاّ بهما جميعاً ، وإن تفاوتت بينهما النسب والاوضاع حيناً وتقاربت حيناً آخر ، على حسب الظروف والملابسات وخصائص البيئات .

والحق أن فلسفة التاريخ الحضاري كله ، قوامها نزعة سيكولوجية مركوزة في أعماق الفطرة الانسانية ، تحفز قواها وملكاتها إلى نشدان ما يكمل نواحي النقص الكامن في طياتها ، وتستهدي بها هذه الفطرة إلى تحقيق التجاوب بين عناصر الشخصية الانسانية وعناصر المحيط الخارجي كله . وبمعنى آخر بين عالم المُثُل الذي تتجمع في رحابه أحاسيس النفس ورغباتها ، وعالم الواقع الذي يباين في كثير من أوضاعه وحقائقه ، خيالات الانسان .

ومن ثمَّ كانت الحياة الانسانية سلسلة موصولة الحلقات متلاحقة الأدوار من الانقلابات المادية (١) والثورات العقلية والروحية (٢)، ولعلَّ هذه الانقلابات والثورات تكون بمثابة التمديد والبسط لتلك النزعة السيكولوجية العميقة التي تهدف بالانسان الى دوام التطلع الى تجديد القيم التي تحكمه وتخط له اقداره، والى التسامي الابدي الى بعث رواقد المثل المكبوتة في أعماق وعيه الباطن، ليراها ممثلة في شرائعه ونظمه وأساليبه المادية في استغلال الحياة. هذا الانسياق الحثيث وراء نزعة الكمال الروحي، وذلك الدأب المتصل في سبيل الهيمنة المادية على قوى الحياة، هما الطابع المميز لحركة التطوّر التاريخي التي انتظمت أجيال البشرية في ظل أنماطها الحضارية المتلاحقة، وهي حركة تنطق بروعة هذا الكفاح الهائل، تبذله النفس الانسانية لتحقق به لذاتها مستوىً اجتماعيًّا أقوم وأرفع، وتستوفى به ما ينقص شخصيتها من عناصر تقدمية وصفات سلوكية، تؤهلها لملاحقة موجات التطور ومسايرة وثباتها القريبة والبعيدة ما استطاعت إليها سبيلاً.

والشخصية الانسانية المحفوزة الى أن تستوفى بالتطور حظها من المدركات والتجارب، وإلى أن تحقق في العالم الخارجي مكنوناتها التي أنضجها التأمل والنظر، هي الشخصية الاجتماعية المتوازنة، التي يكون في مقدورها أن ترسم لذاتها مجالات النشاط والحرية، أو بمعنى آخر حدود الحق والواجب، حقها على المجتمع أو الدولة وواجبها إزاءها.

وحدود الحق والواجب على وجهٍ عام، لا تعدو استعداد الفرد وتهيأه لادراك حقيقة الروابط والعلاقات التي تصله ببقية أفراد مجتمعه، ليبادلهم تضامناً معنويًّا وحسيًّا قوامه فهمه لالتزاماته الاجتماعية والقومية بوصفه عضواً في مجتمع مدني، وكذلك فهمه لالتزامات دولته إزاء سائر الدول، بوصفها عضواً في مجتمع دولي متشابك الأواصر والعلاقات، ولن يؤتي هذا الفهم نتائجه، إلاّ إذا بني على قواعد مستقيمة قوامها ثقافة اجتماعية حرة، تؤكدها شواهدُ إنسانية عامة، وتضبطها مبادىء عالمية مشتركة، تساهم في اعتناقها واعلائها شعوب العالم المتمدين كله لا فرق بين أجناسها وأوطانها جميعاً.

ولعلَّ من الشواهد الاجتماعية التي تكاد تجري مجرى البداهة في تاريخ الحضارة، استحالة تدرج هذا التطور في مدارج سلمية، وإباءه للانسياق فى سلسلة من الاطرادات الهادئة المطمئنة، ومن ثمَّ تراءت لنا حلقات التطوّر التاريخي المتعاقبة، في صور متباينة

---

(١) فالعصور التي توالت منذ العصر الحجري الى البرونزي الى الحديدي الى العصر الحاضر عصر القوى الكهرطيسية الخارقة، ليست جميعاً الا سلسلة انقلابات مادية متعاقبة في تاريخ الانسان

(٢) كالاديان السماوية والعقائد الوضعية وشتى المبادىء الاجتماعية الاخرى التي خضع لها الانسان.

من الالتواءات والانقلابات التي نستبين في وقائعها وأحداثها عناصر داوية للكفاح والصراع في سبيل الغَلَب والبقاء .

وكما أن من الجائز أن يظل دأبُ الحضارة الانسانية وسعيُها إلى الوصول إلى مثلها العليا منوطاً بهذا الكفاح الملحوظ في تاريخها ، فان من الجائز أيضاً أن نرجّح ظهور عوامل فعّالة قد تقلّل من حدته وتطامن من عنفوانه ، وخاصةً وأن الانسانية تستشعر اليوم بحدس يقرب من اليقين الصائب ، انها تجوز بعصر من عصور الاستنارة واليقظة، يعينها على أن تفيد من اتجاهات هذا التطور وانقلاباته منذ عصر الثورتين الاميركية والفرنسية، فعصر الحرب العظمى الماضية ، فهذه الحرب العالمية المعاصرة.

وثمة ما يؤكد هذا الأمل المرتجى في ظهور هذه العوامل الخيّرة التي تطب أدواء البشرية وتخفف من نكبات الحضارة . على أن التفاؤل المطلق أو التشاؤم المحض، لا يمكن اتخاذ أيهما معياراً سليماً لقياس مذاهب الحياة الانسانية أو ميزاناً دقيقاً لتقدير طبيعة الخصائص والمشكلات التي ينطوي عليها الاجتماع البشري . فليست الحياة الانسانية معركة لاهبة من الصراع الحيواني فحسب ، وليست هي كفاحاً دامياً تؤجج هوائجه غريزة إفناء الذات التي يحدّثنا عنها علم النفس ، ويعزوها إلى الصفات البدائية التي تسربت في أغوار الانسان منذ عصور همجيته البائدة ، بل انه الى جانب هذه الغريزة الكامنة غريزة أخرى تعارضها ولا تني تكظم ثوائرها ، هي غريزة حب الذات والحرص على حفظها من عوارض الهلاك والفناء .

وغريزة المحافظة على الذات هي التي حفزت الانسان الى إيثار التعاون والتضامن مع أبناء جنسه ، ورققت حواشي الحياة وعمرتها بالتراحم والمحبة الى الحدّ الذي يرجى معه إقالة الانسانية من عثارها في أعقاب الانقلابات الدامية والحروب المدمرة التي تهدد مصاير الحضارة ، وهكذا تحيل هذه الغريزة عوامل الحروب الى عوامل للسلام ، وتطلع على العالم بمُثُلٍ جديدة وأوضاع أقوم، تعزز جوانب الخير في شخصية الانسان ، وترفع مستوى حياته مراتب ودرجات .

جاءت الثورة الفرنسية الكبرى في أعقاب أختها الأميركية بانقلاب اجتماعي زلزل قوائم الحياة في مؤخرات القرن الثامن عشر ، وأخذ يتجه بالحضارة الأوروبية وجهة جديدة لم تكن تعرفها من قبل ، وان كانت أماراتها قد ظلت مستسرة في أعماق الضمائر التي أضناها شذوذ أوضاع الحياة، وفداحة مظالمها في ظل الطغيان الفردي الغاشم ، حتى جاءت أفكار الكتّاب والفلاسفة، وهم طلائع التقدم ورواد البعث الجديد ، يفسرون مكنونات النفس الأوروبية المكبوتة ، في صور مثالية رائعة، هي مبادىء الحرية والأخاء والمساواة ، ونادوا

بها حقوقاً طبيعية أبدية للانسان ، في كل زمان ومكان .

غير أن بيئة المجتمع الاوروبي لم تكن مهيأة يومئذٍ لتمثيل هذه المبادىء واستهوائها في تطبيقات الحياة والعمل ، فالتفكك الاجتماعي بين الطبقات ظلّ ضارباً أطنابه خلال شطر كبير من عصر الانقلاب الصناعي في القرن التاسع عشر ، والطبقة الوسطى التي ألهبت أتون هذه الثورة واضطلعت بتوجيه أقدار المجتمع الثوري في فرنسا سامت الحياة الاجتماعية في ظل أوضاع « البورجوازية » مستهدية بأغراض نظامٍ سياسي يمكن أن ننعته باسم « الديمقراطية الرأسمالية » التي تجعل فرص الحياة وقفاً على طبقة الرأسماليين من رجال المال والأعمال ، وهكذا أخذ « المشروع الاقتصادي » في صورة « الانتاج الكبير » مظهر الاستغلال الفاحش ، تُثرى به طبقة على حساب أخرى ، ويهيء للطبقة الممتازة كافة فرص الحياة من تربية وثراء وعمل رابح وحظٍّ موفور من سلطان السياسة وجاه الأحزاب .

وظلّت العلاقة بين طبقة « السادة » وطبقة « المسودين » ، أو بمعنى آخر بين طبقة أرباب الأعمال وطبقة العمال ، ملتزمة حدود هذا الوضع الناشز ، حتى هيأت ظروف الحضارة الصناعية الجديدة ، في النصف الثاني من القرن الماضي ، أذهان الناس لاستشعار مساوىء الحياة على هذا النحو الظالم ، ومن ثمّ توالت حركات « النقابية » في شتى أشكالها تغزو المجتمع الأوربي وتؤثر في اتجاهات نظمه السياسية ، وترسم حدوداً جديدة للعلاقات التي يجب أن تربط بين الطبقات .

وانبعثت في الأفق الأوربي نزعة المذاهب الاشتراكية لتبشر الطبقات المهيضة بحلم العدالة الاجتماعية ، واستحلّ متطرفو الاشتراكيين وسائل العنف الثوري لتحقيق هذه العدالة على الأوضاع التي صوّرتها كتابات دعاتهم وجعلتها شرطاً أولياً لرجحان كفة العدل والحق والمساواة على كفة الجور والباطل والاستبداد في المجتمع البشري .

وشبت الحرب العالمية الماضية في ظل عراكٍ لاهب بين هذين المبدأين الاجتماعيين ، مبدأ الفردية على المعنى الذي أرادته ثورة فرنسا الكبرى من جعل قوة الفرد الاساسي الذي يبنى عليه المجتمع ، ومبدأ الاشتراكية على المعاني المتعددة التي أتاحت لها الظهور ، ما جدّ من ظروف اقتصادية في ظل ذلك الانقلاب الصناعي الكبير . فمن ناحية السياسة القومية إذن ، كان الفرد الاوربي ، وكذلك أخوه الأميركي بطل الحرب الأهلية عام ١٨٦٠ والحرب العظمى عام (١٩١٤—١٩١٨) يجاهدان ليحررا الحياة الاجتماعية من آثار المظالم الاقتصادية ما استطاعا السبيل إلى هذا التحرير ، ويصوغان لهذه الحياة « يوتوبيا » جديدة يقوم فيها توزيع الانتاج واستهلاك ثمراته على مبادىء ديمقراطية عادلة تحارب شرور العوز والفقر ،

تلك التي كانت وما تزال مصيبة المجتمع البشري في شتى أطوار حضارته .

أما من ناحية السياسة الدولية فقد كان المظنون أن تكون هذه الحرب العالمية الماضية فاتحة عصر جديد للاخاء الشعوبي تمحى فيه فوارق العناصر والاجناس وتندمج فيه تخوم الأوطان والقوميات ، وبهذا تحقق آمال هذه البشرية العانية في أحلام السلام والوئام .

لقد جاءت تلك الحرب لتصفية التركة الاستعمارية في ظاهر الأمر ، وان باينت الحقيقة المرة ، هذا الظاهر الخداع ونبت عنه ، إذ كان أول ما ألهب جذوتها نزعات « الامبريالزم » والتزاحم الاقتصادي على منادح الطبيعة فيما وراء البحار ، وموالاة خدمة الأغراض التي أتاحها عصر الكشوف الجغرافية في مطالع عهد الاستنارة في اوربة ، تلك الأغراض التي ترمي الى الفتح للامتلاك والاستغلال والاثراء !

لقد علل دعاة التوسع الاستعماري في أواخر القرن الماضي حرص الدول الكبرى على ممتلكاتها بنظرية اجتماعية مصطنعة ، قوامها ان الاستعمار ركن من أركان الحضارة ، ولما كان من اخص ما يعيب هذه الحضارة ذات الطابع العالمي الشامل عدم استغراق مبادئها لشعوب البشرية كافة ، كان حتماً مقضياً على شعوب الحضارة ان تستعمر الشعوب المتأخرة عنها لتسوسها وتنظم حياتها وتنهض بمرافقها ، ثم لتردها من بعدُ الى حظيرة الانسانية المتمدينة ، أمماً مصقولة راقية !

كانت هذه « الحقيقة » المزعومة ماثلة سافرة أمام أعلام السياسة العالمية في مؤتمر السلام عام ١٩١٩ ولم يكن امامهم من سبيل الى انكارها دفعة واحدة ، او لعلّ رجة الحرب الهائلة لم تكن كافية لاحداث تطور بعيد في سبيل الاخاء الشعوبي العام ، ومن ثمت اضطروا أمام وعودهم ومواثيقهم أن يحوّروا في صور الاستعمار وأشكاله ، ليوفقوا قدر الطاقة بين مبادىء ولسون الأربعة عشر وأسس هيئة السلام الجديدة ، وبين حقائق الأوضاع الدولية في ظل نظام الاستعمار . وعلى ذلك ابتكروا ما سموه بالوصاية أو الانتداب أو الحكم الذاتي ، وسائر هذه النظم التي عدوها مرحلة انتقال لا بد منه كي يُعدوا الدول الخاضعة له للاضطلاع بأعباء الاستقلال ، وممارسة حقوق السيادة ، وكسب القدرة على ملاحقة رَكْب الحضارة .

ومن أسفٍ أن تجيء الأوضاع الجديدة والنظم المستحدثة في ظل تركة مثقلة بالمشكلات المتخلفة عن تلك الحرب ، سواء أفي المحيط القومي أو الدولي ، مثاراً لسلسلة جديدة من الاضطرابات السياسية والأزمات الاقتصادية تلاحقت في أعقابها هزّات اجتماعية مهدت بدورها لاثارة حرب عالمية أخرى جاءت أهول من الحرب الأولى وأبشع نكيرا .

لم يتجه ساسة العالم إلى رفع مستوى الحياة الانسانية في ظل رفاهية اقتصادية وتقدم

اجتماعي يقيلان هذه الانسانية المفككة من حضيضها الأوهد ، اللهمَّ إلاّ محاولات نظرية وجهود طيبة ، وإن كانت متواضعة ، أرادت أن تثبت بها عصبة الأمم كيانها وتبرِّر وجودها في ناحية جليلة من نواحي العمران البشري ، هي ناحية الاصلاح الاجتماعي الذي ينتظم شعوب البشرية بغير ما فارق في الدين والجنسْ والوطن .

جاءت النكسات السياسية في صورة انقلابات فاجعة في نظم الحكم ، حَوَّرت الأوضاع الدستورية وزلزلت قوائم الديمقراطية في الأمم التي خرجت مهيضة الجناح من تلك الحرب العالمية الأولى ، ومَهَّدت من ثمّ لقيام نظم الطغيان في أسلوب دكتاتوري شلّ إرادة الفرد واهتضم شخصيته وسخرها للدولة ممثلةً في حاكمها المطلق ، الذي رفعه الشعب المخدوع إلى أعلى مراتب التقديس والعبادة .

وسايرت الانقلابات الاجتماعية تلك النَّكْسَات السياسية مسايرة الظل لجسمه، لأنهما لم يمهّدا لغير لون واحد من ألوان الجهاد، هو جهاد العدوان البربري والصراع الحيواني على إهدار حقوق الأمم وسلب مرافق الشعوب وحرياتها في سبيل ما زعموه « منادح للحياة » !

وكأنما استشعرت الانسانية المتحضرة شذوذ ما فرض عليها من أوضاع للحياة، لا تلائم طبيعة العيش في ظل الحضارة ، وأحست فداحة العبء الذي فرضته هذه الأوضاع على الأفراد بعد أن حرمتهم حقهم الآدمي المعقول في فرص عادلة لحياة خصبة مثمرة ، حياةٍ اجتماعية مطمئنة تجعل الانسان يجاوز نفسه ، ساعياً بالفكر والعمل وراء الحق والخير والكمال ، فتطلبت المفيض والمتنفس في لونٍ آخر للجهاد .

أرادت هذه الانسانية ان تتنفس إذن لتفرّج عنها أوجاعها وتفرز خبائثها وترحض عن جراحها نجيعها الفاسد ، فامتشقت السلاح مرة أخرى وخاضت معركة الحياة والموت لتعيد إلى القيم الانسانية حرمةً ، طاحت بها هذه النكسات العارضة في سير الحضارة .

وجاء وحي الجهاد الجديد في ظل هذه الحرب العالمية الثانية ، ذا آثار بعيدة ونتائج قيمة أدت إلى تطورات ذات بال في اتجاهات السياسة العالمية وأحدثت تقدماً محسوساً في مجالات الاصلاح الاجتماعي والتعاون الانساني العام .

وكأنما أراد ساسة العالم الديمقراطي ألاّ تسبقهم عجلة الحوادث وتزحمهم مشاكل السلام وتبلبل أفكارهم عقده ومفاجاءاته . فبدأوا بتحديد أهداف الانسانية من وراء هذه الحرب ثم أخذوا يطبون لها بألوان العلاج في نواحي السياسة والاقتصاد والاجتماع، حتى تخرج هذه الانسانية من الحرب وقد برئت من أدوائها وعيوبها ما استطاعت إلى هذا الأمل العزيز من سبيل .

ولسنا هنا في حاجة إلى تكرار ما سبق أن سجله الباحثون من تفاصيل الأحداث العالمية التي تعاقبت بعد ذلك ، ولا نحن بصدد ترديد نظريات التفاؤل والتشاؤم ومراقبة أثرها في سير العمران البشري وبعث رواقد الحياة أو تعويقها فيه ، وإنما سبيلنا هو تصوير الأهداف وتسجيل الخصائص البارزة التي ستعطي لحضارة المستقبل طابعها الخاص ، مستهدين بهدى التطورات التي ما زال بعضها آخذاً برقاب بعض حتى ساعة كتابة هذه السطور .

١ — تطور نظم الاستعمار وسياسة الحكم وسيادة الدول

ليس من شك أن ثمت تطوراً ملموساً بدأت تنداح دائرته في محيط السياسة العالمية من حيث علاقة الشعوب الكبيرة بالشعوب الصغيرة . وسواء أكانت النظريات السياسية الجديدة التي يجري وفقها هذا التطوّر بمثابة عوْد إلى نظم الماضي بعد تحويرها وتعديلها لملاءمة الظروف الجديدة ، أو كان أفق التعاون الدولي سيطالعنا بصور جديدة معقولة قوامها العدالة الدولية الى أقصى ما يستطيع أن يصل اليه ضمير الانسان في ظروفه المادية والأدبية الحاضرة ، فانه مما لاريب فيه ان الاتجاهات السياسية التي ستعم عالم ما بعد الحرب ستنطوي على أقصى صور التفاهم والتسامح والتعاون بين شعوب العالم كبيرها والصغير ، وخاصة وقد أظهرت هذه الحرب ضرورة إيجاد هذا التعاون لتخليص الأمم المنكوبة والشعوب المنهوكة من عقابيل هذا الصراع ومغباته الحالكة .

ولا شك أيضاً ان المجتمع الدولي سوف يتخلص إلى حدٍّ كبير من شرور السيادات الباغية التي كانت تغذيها العصبيات القومية وأحلام الجامعات العنصرية وأساطير التفاضل بين الأصول والأجناس . وسيكون ميزان النظر الجديد إلى مشكلة السيادة قائماً على أساس مرافق عالمية ومصالح دولية مشتركة وتضحيات تساهم فيها الامم جميعاً لتحقيق أقصى ما تستطيعه للعالم من سلام ورخاء . ولعلّ أبرز خصائص الطابع الديمقراطي الحديث هو تحقيق هيئة دولية عامة تكون بمثابة « برلمان » لأمم العالم ، على ان يُزَوَّدَ في دستوره بقواعد وحقوق وسلطات تخرج به عن مجرّد الأوضاع الصورية والمذاهب النظرية إلى مجال التطبيق الحاسم الذي يصون حرماته إجماعٌ دوليٌّ على توحيد علاج المشاكل العالمية من حيث المبادىء العامة ، والقضاء على العدوان والبغي ، والمساهمة الفعّالة في نشاط هذا المجلس من النواحي الاجتماعية والاقتصادية الأخرى . وها نحن أولاء في انتظار نتائج مؤتمر سان فرنسيسكو الذي سيناقش مبادىء مؤتمر دمبرتون اوكس ، راجين أن يكون مظهراً مشرّفاً رائعاً للتعاون بين أمم العالم المكافحة في سبيل إقرار حقوق الانسانية وحرياتها .

ب — اشتراكية التضامن الاجتماعي

وإذا كانت الانسانية تكافح اليوم في سبيل إقرار قواعد جديدة للقانون الدولي تحتكم إليها الشعوب كافة ، فأنها تكافح أيضاً في سبيل أقداس اجتماعية وأخلاقية تحكم وتنظم الروابط والصلات بين أعضاء كل مجتمع بشري . فما نسميه بربرية الفوضى الدولية التي تحكم القوة الغاشمة وتغلبها على حق العهود والمواثيق ، ليس إلا مظهراً لوضع قومي آخر هو فوضى النزاع بين الطبقات في المجتمع الواحد ، وانعكاساً واضحاً لحقيقة الصراع الاجتماعي الدائم بين هذه الطبقات .

إن أمثل أسلوب لديمقراطية الحكم هو الذي ينزل الى صعيد الحقائق ليستكشف أدواء الجماعة ويتعرّف الى أسبابها ليعالجها لا بأساليب الارتجال والدجل ، بل ببصائر التجارب وسلاح العلم ، والايمان بأن الحياة أخذ ورد ، وبمعنى آخر يجب ان يصل المجتمع الانساني إلى حالة من التوازن والعدالة يحصل كل فرد في ظلها على ما يحتاج اليه ، لا ليكفي ضرورياته هو وأسرته فحسب ، بل ليرقى كذلك بالمستوى الاجتماعي الذي له ولأسرته . ومن شأن هذا الوضع ان يقفنا على حقيقة معنى التضامن الاجتماعي الذي تمليه روح هذا العصر ، وهو تضامن يقتضي تهيئة الفرص التي كانت ظروف الحياة الاجتماعية الماضية تجعلها وقفاً على الطبقات الممتازة المثرية دون سواها . فحق الحياة الطبيعي هو حق الانسان في أن يوفر له مجتمعه الغذاء والكساء والمأوى والعمل والحصول على نصيبه من ثمرات التقدم والرقي . والناس ما عاشوا في مجتمع الاّ ليتمتعوا بحق الحياة ويصونوا حرمة الآدمية وكرامتها في أسلوب هذه الحياة وصورتها . والمصالح الفردية المتعاكسة يجب أن تكون مصالح متضامنة يكمل بعضها بعضاً ، وإلاّ انهارت قيم التضامن في الجماعة ، وتقوّض بناؤها .

لهذا لم يكن عجيباً أن نلمس مظاهر الكفاح الحكومي تتعدد جوانبه في الأمم الراقية لمحاولة القضاء على العوز والفقر الذي يحول بين الفرد وبين نصيبه من الصحة والغذاء والتربية من يوم أن ينشأ في مهده إلى ساعة دَرْجه في لحده ، حتى لقد حقّ لنا أن نسمي هذا العصر بعصر الضمان الاجتماعي الحديث .

إن رفع مستوى المعيشة للشعوب أصبح هدفاً قوميًّا وعالميًّا معاً . فهذه انجلترا تشفق مقدماً من أهوال مشكلات السلام وما قد تعرّض المجتمع البريطاني إليه من أخطار الاضطرابات والقلاقل المنذرة بعواصف اجتماعية لا تبقي ولا تذر ، فنراها من ثمّ تسارع إلى دراسة قواعد السياسة الاجتماعية السليمة التي يجب أن تنظم الصلات والروابط بين

طبقات المجتمع الانجليزي ، وتتمخض دراساتها عن مشروعها العظيم المسمى باسم واضعه السير وليم بيفردج لتقضي به على عمالقة العوز والمرض والجهل والقذارة والتعطل التي لا يتحقق للجمعية البشرية معها ضمان اجتماعي ، ما دامت هذه العمالقة تسيطر على حياة الانسانية ، كما قال أستاذنا الفاضل رئيس تحرير هذه المجلة . ولسوف تتوازن دخول الأفراد وحقوقهم الاجتماعية والسياسية بفضل هذا المشروع ، لو صدقت النية على إنفاذه وتحقيقه واقتباس الدول لما يتفق من مبادئه مع ظروفها .

ورفع مستوى المعيشة هدف عالمي أيضاً ، وحسبنا ان يسجل ميثاق الاطلنطي في بند أساسي من بنوده الاربعة ، عزم الدول المتحالفة على مساعدة الشعوب لتتحرر من العوز والفقر . ولقد تألفت اللجان الدولية التي نيطت بها مهام اجتماعية جسيمة سيتقرّر بها المصير العمراني للعالم ، وتعدّدت نواحي نشاطها ، فواحدة للمساعدة والتعمير ، وأخرى لحل المشاكل الاقتصادية والمالية ، وثالثة لدراسة الوسائل المنشطة للمرافق العلمية من زراعة وصناعة وتجارة ومواد خام وهكذا

والاعتقاد السائد اليوم هو أن الفقر إذا حلّ في مكان سرت عدواه الى أماكن أخرى ، فهو يكون محليًّا في بداية أمره ، ثم يصبح أهليًّا فوطنيًّا ، ومع مضي الزمن يستحيل الى داء عالمي ، وذلك لأن الانسان لا يستطيع أن يعيش وحيداً بمعزل عن الناس في هذه الحياة فالاتجاهات الاقتصادية لها طابع الشمول والعموم على الدوام .

ح — حرية الرأي والاعتقاد

كفلت الدساتير القومية في كافة الأمم المتحضرة تلك الحريات الفردية التي لا يستقيم بغيرها تقدم اجتماعي أو رخاء مادي . ولقد أحاط كثير من هذه الدساتير تلك الحريات والحقوق بضمانات تشريعية كافية .

ولم تكن حركة الدساتير التي ظلت مشبوبة الأوار طوال القرن الماضي ومطالع هذا القرن ، سوى انعكاس قوي لنزعة التحرر الفردي والاستماتة في سبيل اجتياز الحقوق التي تفرضها كرامة الحياة على الآدميين ، ولم يكن انقلاب الثورة الفرنسية الكبرى وما تبعها من انقلابات سياسية واجتماعية إلاّ استطراداً لصور هذه النزعة الفطرية في سبيل الخلاص من ربقة الضغط والاستبداد وتكميم الأفواه ومحاربة العقائد .

لقد واجه العالم في أعقاب الحرب العالمية الماضية نكسة قوية من نكسات الحضارة كانت أعراضها تلك الأنماط الدكتاتورية التي قضت على أسمى مبادىء النظام الديمقراطي ونعني به مبدأ الحرية في أشمل معانيه .

وإذا كان أروع مظهر تتراءى فيه الحرية الانسانية هو حرية القول والرأي ممثلة في معاهد التربية ودور العلم وسلطان الصحافة ، فليس بعسير علينا أن نتصور مدى النكبات الفادحة التي أصابت الحضارة عند ما فرضت بعض الدول القيود والسدود والأغلال على هذه الحرية . لقد أثبتت وقائع التاريخ أن المستحيل بعينه ، هو أن يحكم شعب أو يقوم له نظام وهو محروم من حرية القول والرأي . ذلك لأن الناس كما قال بعضهم أو كما يقول الواقع ، يتنفسون بعقولهم مثلما يتنفسون برئاتهم ، فلا جرم كانت هذه الحرية أولى دعائم الحضارة الانسانية وكانت لها أيضاً مرتبة الصدارة في استحثاث خطوات تقدمها .

ولقد جاءت أحداث الكفاح الحالي مدللة في منطقها بأصرح دلالة على أن الحضارة الانسانية لا تقبل بطبيعتها انتكاساً يسلبها ما جاهدت القرون والأجيال من أجله ، كما ان عوامل التقدم والارتقاء المبثوثة في روحها تأبى تحكم القوة وتنبذ شريعة الغابة .

لقد عددت لنا الحضارة الحديثة وسائل التعبير عن الفكر في شتى اتجاهاته . فثمة الطباعة التي تربت في حجرها الصحافة ، وهناك « السينما » ذات السلطان الساحر على نفوس الجماهير ، وجاء « المذياع » و « التليفزيون » يكملان ما كان ينقص الانسان من أسباب التعبير والتصوير عن الافكار والمشاعر والآراء .

ان الاتجاه الديمقراطي لحضارة الغد لا يمكن أن يمهّد طريقهُ ولا تذلّل عوائقه ، إلاّ إذا نظمت أمم العالم المتحضر هذه الحرية ، وجعلتها الناموس الأول في نظام حياتها .

فاذا كان ميثاق الاطلنطي قد عرف خطورة مشاكل القوت والكساء عند الافراد والجماعات ، فهو قد عرف أيضاً هذه الخطورة لقوت العقول والاذهان . وليس شك في أن كل من جاهد في هذا السبيل الشريف ستقدر له الانسانية ، أنه كان من صنّاع التاريخ وبناة الحضارة .

صلاح الدين الشريف

مصادر المقال

(١) E. Benes : Democracy to-day & to-morow

(٢) H. G. wells : The Rights of Man

(٣) مجموعة خطب ومقالات بالانكليزية لكل من تشرشل وروزفلت وسمز ويلز

مكتبة المقتطف

ابن رشد الفيلسوف

حلقة من سلسلة « أعلام الاسلام » التي تنشرها لجنة دائرة المعارف الاسلامية . تأليف
الاستاذ محمد يوسف موسى — ١١٨ صفحة من القطع الصغير : ١٩٤٥

حلقة من سلسلة « أعلام الاسلام » وضعها حضرة الأستاذ محمد يوسف موسى المدرس بكلية أصول الدين ، والمعروف للقراء بكتاب « فلسفة الأخلاق في الاسلام وصلتها بالفلسفة الاغريقية » وكتاب « تاريخ الأخلاق » وغيرهما من البحوث القيمة . وكنا بحاجة حقًّا الى كتاب في ابن رشد يعين الطلاب على دراسته بعد أن نفد كتاب فرح انطون ، سيما ان المستشرقين إجمالاً يعنون بابن رشد شارح أرسطو أكثر من عنايتهم بمحاولته التوفيق بين الفلسفة والدين ، تلك المحاولة التي قال ليون جوتييه بحق أنها « معقد الطرافة في الفلسفة الاسلامية » (ص ٣١) والتي لم يوفق هذا المستشرق الى عرضها عرضاً شاملاً . وقد جعل منها حضرة المؤلف موضوع كتابه بعد الترجمة للفيلسوف والتأريخ لعصره ، تأريخاً مستوعباً في إجمال ، فقال ان « رسالة ابن رشد كانت الانتصاف للفلسفة بعد ما لقيت من الغزالي ، والتوفيق بينها وبين الدين » (٢٦) ثم حصر المسائل (٣٧) وعالجها واحدة بعد أخرى علاجاً منهجيًّا موفقاً وبأسلوب رصين واضح ، مستنداً الى المراجع الأصيلة الموثوق بها . فكانت النتيجة أن ابن رشد لم يفلح في تبرئة الفلسفة من تهمة الكفر في المسائل الثلاث التي ذكرها الغزالي ، وهي القول بقدم العالم ، وقصر علم الله على الكليات ، وانكار بعث الأجساد ، وأنه من ثمت لم يتم له ما أراد من الانتصاف للفلسفة . وما كان هناك سوى طريق واحد للانتصاف لها ، هو تعديل مواقف الفلسفة اليونانية في هذه المسائل . واعتقادنا ان هذا التعديل ممكن بالفلسفة نفسها أي بالاستدلال العقلي فحسب ، وان الغزالي وفق اليه في كتاب « تهافت الفلاسفة » فكان أكثر حرية وأكثر ابتكاراً من الفلاسفة . وقد يكون لحملته العنيفة على الفلسفة نصيب كبير فيما أصابها من بعده في العالم الاسلامي . ولكن

عذره انه أراد الدفاع عن الدين ، وهذا حق له لا ينكره عليه أحد ، وانه ظن الفلسفة كلا لا يتجزأ فاعتبرها عدوة الدين ، وهذا ظن وصل اليه من الفلاسفة أنفسهم الذين اقتصروا على ترديد أقوال اليونان معتقدين انها كالبنيان المرصوص لا يمس حجر منه إلاّ انهار كله .

هذا ، ومن الحق أن نشير إلى الفصل الذي عقده لبيان أثر ابن رشد الفيلسوف من بعده في الشرق والغرب ، وبيّن فيه في استقراء العوامل التي من أجلها لم ينتفع الشرق بجهوده في سبيل الفلسفة والتوفيق بينها وبين الدين ، بينما كان أثره في الغرب كبيراً وعظيماً حتى كان كبار مفكريه يختصمون من أجله .

وأخيراً ينبهنا الأستاذ المؤلف الى ان كتابه ليس « رسالة خاصة عن ابن رشد وفلسفته » (٩٨) ، ولعله مقبل هذه الأيام على هذه الرسالة الخاصة كما نرجو ، فان ابن رشد حقيق بدراسة مفصلة عميقة ، والمؤلف قمين بالقيام بها .

يوسف كرم

* * *

[المقتطف] — نعقب برأي المقتطف في هذا الكتاب ، فقد رأينا فيه أشياء لا ينبغي أن تفلت من حلقة النقد في عصرنا هذا .

أصدر الامام المحدّث الفقيه ابو عمر تقي الدين الشهرزوري المعروف بابن الصلاح المتوفى سنة ٦٤٣ هـ . فتوى بتحريم المنطق والفلسفة ، فكان لهذه الفتوى خطر وسلطان ظلاً قويتين دهراً طويلاً . سئل عن حكم الله فيمن يشتغل بكتب ابن سينا وتصانيفه فقال : «من فعل ذلك فقد غدر بدينه وتعرّض للفتنة العظمى » . لأن ابن سينا : « لم يكن من العلماء ، بل كان من شياطين الأنس »

وفي فتوى أخرى يقول : « إن الفلسفة أسّ السفه والانحلال ، ومادّة الحيرة والضلال ومثار الزيغ والزندقة ، ومن تفلسف فقد عميت بصيرته عن محاسن الشريعة ، ومن تلبّس بها تعليماً وتعلماً قارنه الخذلان والحرمان ، واستحوذ عليه الشيطان » — وقضى بأن الواجب على السلطان أن — « يعرض من ظهر منهم اعتقاد الفلاسفة على السيف أو الاسلام ، لتخمد نارهم ، وتمحى آثارهم » .

كانت هذه هي روح الدين في عصر ابن رشد ، وإن أردت أن تخفف شيئاً من حدّة القول فقل كانت هذه هي روح رجال الدين ، وهي أشبه بالروح التي أملت على النّصارى في العصور الوسطى أن يضعوا نظاماً يقال له نظام الفهرست الذي يتضمن الكتب التي يحظر على المؤمنين من النصارى قراءتها ، وكان منها كتب كوبرنيكوس وغليليو وجوردانو برونو وغيرهم.

تلك إذن كانت روح العصر التي أحاطت بابن رشد، وهي روح عتية قاسية لا تترك من أثر لروح التفكير الحر، بل لروح الاسلام ذاته الذي حضّ على اطلاق الفكر اطلاقاً سوّد فيه الارادة البشرية تسويداً قد يضيق به بعض الظلاميين من أهل زماننا هذا، على النقيض مما جاء في القرآن وآيته العظمى: «وقل الحق من ربكم فمن شاء فيؤمن ومن شاء فليكفر».

من الظلم إن نسوق النقد في آثار الماضي فنقيسها على حالات عصرنا. وللنقد ثلاثة أساليب تخضع لها الآراء الفلسفية، بل وكل الآراء والأساسيات التي تنزع إلى التأمل. فجمهورية أفلاطون بما فيها من ألوان الرأي وضروب النظر، يمكن أن يخضعها الناقد جميعاً إلى هذه الأساليب، ليكشف عما فيها من الخطأ والصواب. وهذه الأساليب هي:

الأسلوب المذهبي. وهو طريقة للحكم في مستفادات العقل الانساني، وان بعدت عن فكر الناقد وعصره، بمقتضى تلاؤمها وموافقتها للمبادىء التي قال بها باكون او اسبينوزا او هيجل او ميل، مقيسة على أفضل ما يتعلق به الناقد من المتجهات العقلية.

ثم الأسلوب الانتقائي او التلفيقي او التوفيقي: وهو أسلوب يرمي إلى ان ينتقي الناقد من المذاهب المتنابذة او المتعارضة، ذريرات الحق المتناثرة في ثناياها، بحسب ما يراه منها حقاً. وهو اسلوب يشيع في العصور التي تقوى فيها نزعة القراءة وتتسع فيها المعلومات ويكثر شحن الأذهان بالآراء والفكرات، ولكن يندر أن يكون للمعلومات المستجمعة على هذه الصورة قوة أولية خاصة بها. ومثلها مذهب الأفلاطونية الجديدة كما عرف في مدرسة الاسكندرية في القرن الثالث الميلادي، أو كما عاش في فلورنسا في القرن الخامس عشر. وأهم نقائص هذا الأسلوب الرئيسة فيه، هي نزعته الى تشويه المذهب الأصلي الذي يدعي أهل هذا الأسلوب انهم يعملون على تبيانه وجلاء غوامضه، حتى يمكن بذلك ان يلفق أو يؤلف بين أحسن ما فيه، وبين العناصر الأولية في نظام فلسفي آخر مسلّم وموثق به من ناحية الناقد.

هذان أسلوبان نقديان نحّيا الطريق في القرن العشرين، بتأثير نظرية هيجل الثابتة التي كوّنها في ما دعاه «روح العصر» الدائمة التغير المستمرّة الفيض والتدفق، لأسلوب ثالث في النقد، هو الأسلوب التاريخي. وهو أسلوب يحملنا على ان نرد المذهب الذي نكب على نقده او الأثر الفلسفي الذي انحدر الينا من مخلفات الماضي المجيد، كجمهورية أفلاطون مثلاً، بقدر المستطاع وجهد ما يصل الجهد، الى مجموعة الحالات العقلية والاجتماعية والمادية التي أحاطت به حال نشوئه، إذا ما أردنا صادقين أن نتفهمه ونتفقه فيه. فان هنالك بضع مسائل اقناعية نستطيع بقوتها أن نحكم من طريقها من أشياء العقل أسوية هي أم غير سوية،

لدى أول تأمل نحصره فيها ، كما أنها تمدنا بمعنى يقبله العقل من ناحية أصلها وكيفية نشوئها.

أول هذه المسائل اعتقادنا بأن لكل عصر عبقرية خاصة به ، أشبه شيء بعبقرية الأفراد ، وان لكل عصر صورة عامة او « طابع عام » يستمد من الحالات التي تدمغ كل ما ينتج في ذلك العصر من عمل او فن او تجديد او تأمل او دين او اخلاق ، بل ويدمغ وجوه الناس انفسهم ، وانه ما من شيء استخلص الانسان من طبيعة نفسه ، يمكن ان يفهم حق الفهم ويدرك حق الادراك ، الاّ في عصره الذي نشأ فيه ، ومن ينبوعه الأصيل الذي خرجه من تضاعيف تلك الحركة الدائمة التي يختص بها هذا النظام الدنيوي ، وان أسمى ما ينبغي أن يتعرّف اليه من يتصدّى لدرس المذاهب الفلسفية ، انما هو تنمية «الملكة التاريخية» في نفسه .

إن كل شيء في الوجود هو مقولة منطقية قائمة بذاتها من مقولات الضرورة القاسرة. لذلك ترى أن العقائد مهما ضربت في الخيال ، ومشت مع التصور الصرف ، كشيوعية أفلاطون مثلاً ، أو تلفيقية بن رشد ، انما تقع على أصولها الطبيعية ، إذا ما رددتها الى تلك المقولات . وما نقصد بمقولات الضرورة الاّ الحالات التي أحاطت بها ، والتي لم تخرج تلك العقائد عن أن تكون جزءًا منها ، ونبذة من مجموعها .

***

وإذن فلقد نظلم ابن رشد أبين الظلم ونتعسف معه كل تعسف ، إذا لم نمض في نظر مذهبه محيطين بحالات عصره متشبعين بجملة الحالات التي قامت في بيئته حتى نستطيع أن ندرك طرفاً من ذلك التضارب الذي شاع في مذهبه تلقاء التوفيق بين الشريعة والحكمة ، حتى لقد اضطر الى القول بأن الشرع شرعين ، شرع لمن هو من حقه التأويل ، وشرع لمن ليس من حقه ذلك ، كل هذا تحت تأثير مثل تلك الفتوى التي أصدرها الشهرزوري في عصره كما سنرى في سياق نقدنا هذا . بل نقول ، ونحن على يقين ، أن ابن رشد كان ضحية عصره . فان الذي يستوعب منطق أرسطوطاليس ويعلق على كتبه ، لا شك يأبى عليه ذلك المنطق كما يأبى عليه عقله الممتاز ، أن يقع في مثل ما وقع فيه ابن رشد من تضارب في الرأي وضعف في التدليل ، عند ما تكلم في ضرورة التأويل ، تأويل الشرع ليسير في ركاب الحكمة . هذه نظريتنا في ابن رشد . نظرية تقوم على أن مذهبه في التأويل هو نبات عصره لا نبات عقله ، هو مستفاد الحالات التي قامت في بيئته ، لا مستفاد عقيدته الحقيقية . وانما هو في ذلك مضطر الى القول بتعليل يستند اليه في اشتغاله بالحكمة ، يبرر به عند أهل « عصره » موقفه من الأخذ بعلم اليونان وحكمتهم . فلجأ الى التعمل ، واصطناع مذهب

التأويل ، وهو يعلم أن مذهبه فيه سنادة يستند اليها في اشتغاله بالحكمة . هو مسألة ظاهرية يخفي وراءها قصداً يمنعه « روح عصره » أن يجاهر به . وعلى هذا الرأي سنمضي في نقد ابن رشد لا كما صوّره الاستاذ الفاضل مؤلف الكتاب .

أول نقد نوجهه إلى هذا الكتاب ان المؤلف لم يتخذ الملكة التاريخية أساساً لعرض مذهب ابن رشد . بل انه وجه كل همّه إلى مقابلته بالغزالي في تهافت الفلاسفة ، متخذاً من موقف خصمه أداة لعرض مذهبه ، من غير أن يحاول الالمام بشيء من الاسباب التي اضطرت ابن رشد الى ركوب ذلك المركب الخشن ، مركب القول بتأويل الشرع ، ليوافق الحكمة .

ولعمري كيف يستطيع ناقد يحاول نقد ابن رشد نقداً قائماً على مقتضيات « الملكة التاريخية » أن يعلل السبب في أن يركب هذا الفيلسوف ذلك المركب الخشن ، لو لم يقم من ورائه ومن حوله من يقول « السيف أو الاسلام » لمن يظهر منه اعتقاد الفلاسفة ! وأي شيء كان يحمل ذلك الفيلسوف العبقري على أن يكتب « تهافت التهافت » وهو يعلم ان الغزالي ما كتب « تهافت الفلاسفة » إلاّ متحاملاً على أهل الحكمة ، وانه لم يقصد بهم إلاّ سوء السمعة وإغراء الجماهير بهم ، وإيقاظ روح الفتنة الدينية . وإلاّ فماذا يكون علم الكلام الاسلامي ، إذا أخرجنا منه مبادىء الحكمة اليونانية ، وبخاصة قضايا المنطق كما وضعه أرسطو ؟ ولكن هل يستطيع ابن رشد أن يقول ان علم الكلام الاسلامي هو حكمة يونانية في قالب اسلامي ؟ لا شك في أن ابن رشد كان يعلم هذا حق العلم ، ويدركه حق الادراك ، ولو انه استشمّ شيئاً من ريح الحرية الفكرية في جوه الذي احتواه ، إذن لما حرّك قلمه بكلمة واحدة يرد بها على الغزالي . ولكن « السيف أو الاسلام » ! ذلك هو الحافز الذي اختفى وراء كتابه « فصل المقال » ، والذي حمله على أن يقول بالتأويل ، ليخفف بذلك توازن الكفتين ، كفة الشرع ، وكفة الحكمة . فذلك دينه بحكم البيئة ، وتلك هوايته بحكم الصناعة .

بهذا وحده نستطيع أن نردّ قول المؤلف الفاضل إنّ — « الاحساس بالحاجة إلى التوفيق بين الفلسفة ، والحكمة والشريعة عاطفة طبيعية يحس بها كل من عني بالبحث في هاتين الناحيتين ، ومحاولة هذا التوفيق تعتبر إلى حدٍّ ما واجباً لازم الاداء وأمراً ينساق اليه الفيلسوف المتدين صاحب العقيدة التي لها قداستها في رأيه ، وذلك لأكثر من عامل واحد الخ » . . (ص ٣٢) .

فليس هناك من شيء يقال له « عاطفة طبيعية » تدعو الى التوفيق بين الفلسفة والحكمة .

أما ذلك الاحساس عند ابن رشد فكان ضرورة أملتها عليه قاعدة « السيف أو الاسلام ». وهي قاعدة لا تترك للحكمة مجالاً للحياة إلاّ بالتزلف للشريعة . أما في عصرنا هـذا فليس لهـذا الاحساس من وجود البتة . فإما الشريعة ، وإما الحكمة . يختار بينهما العقل لأنه حرّ تحميه روح العصر وقوانينه في أن يفكر كيف يشاء وأن يؤيد ما يشاء أو ينفي ما يشاء بغير حساب . ولو ان ابن رشد قد يبعث اليوم ويعلم ان قاعدة « السيف أو الاسلام » قد دالت دولتها ، واننا نتفكر في خلق السماوات والارض بعقول حرّة طليقة من قيود عصره ، إذن لقال بأن ديدنه الحكمة ، وظلّ مع ذلك مسلماً له ما لبقية المسلمين وعليه ما عليهم .

يجري ذلك المجرى قول المؤلف الفاضل (ص ٣٣) — « واذا كانت محاولة التوفيق بين الوحي والعقل ، مما لا يجد منه بُـدًّا كل من يشتغل بالفلسفة بصفة عامة ، فهي كذلك بالنسبة لفلاسفة الاسلام » .. والظاهر من هذا ان المؤلف قد انتقل بعقله وروحه إلى عصر ابن رشد ، فابتلعه ذلك العصر ، وترك من ورائه القرن العشرين بما فيه . ذلك بأن الفلسفة ليست ملزمة ولا مقسورة على أن تماشي الوحي ، ولا الوحي مقسور على أن يماشي الفلسفة. ولا كل مشتغل بالفلسفة مضطر الى التوفيق بينهـا وبين الوحي ، وان ما بين الفلسفة وبين الوحي ، لأقرب منه ما بين السماء والأرض . فالفلسـفة منطق وفكر ، والوحي تسليم على طول الخط .

يؤيدنا في أن الفارق بين الفلسـفة والوحي كبير قول المؤلف (ص ٣٥) إن الشقة بعيدة ... « بين الدين وفلسفة ارسطو في كثير من المسائل ، كمسألة الالوهية وتحديد صفات الله وخصائصه ، وخلق العالم وقدمه وحدوثه والصلة بينه وبين الله ، والنفس وخلودها » .

إن ابن رشد لم يذهب مذهب التأويل للتوفيق بين الشريعة والحكمة الاّ متصنعاً مضطرًّا اتقاء لحالات قامت في عصره ، ومذهبه الفلسفي لا يستقرأ مما كتب في هذه الناحيـة إن كان من الممكن استقراؤه على الاطلاق . يؤيدنا في هذا قول المؤلف (ص ٣٥) إن من العوامل التي اضطرت المشتغلين بالحـكمة الى التوفيق بينها وبين الشريعة .... « مهـاجمة كثير من رجال الدين للبحوث العلمية الحرة التي لا تتقيد في نتائجها بأية عقيدة مقررة سابقاً ، ويضاف الى هـذا تعصب الشعب والأمراء أحياناً من المفكرين الأحرار مدفوعين بدوافع مختلفة لا تتصل بالدين في الحقيقة في أكثر الأحيان » .... وكذلك .... « الرغبة في أن يكونوا بنجوة من هذا التعصب وآثاره ، ليستطيعوا العمل في هدوء ، ولئلاّ يتحاماهم الناس حين يرون أو يظنون انهم على غير وفاق مع الشريعة والدين » ..... وأيـًّا من حكمة ، مهما كان نوعها أو متجههـا ، تقع تحت مثل هذه العوامل والمؤثرات ، ان تنتج من ثمرة حرة ولن

تكون سبيلاً الى معرفة حقيقة الرأي الذي قام في أذهان القائلين بها على وجه التحقيق والتمام . ولقد تتضح من نفس الأقوال التي ذهب إليها المؤلف ونقلناها آنفاً ، ان هؤلاء المؤولين كانوا في حقيقة أمرهم انتقائيين، والانتقائية أخطر الأساليب التي تعالج بها الحكمة فانها كما قلنا من قبل في تقسيم أساليب النقد ، تنزع دائماً إلى تشويه المذاهب الأصلية ، لأنها مهما أخذ فيها بالحيطة والحذر وموازنة الآراء ، لا بد من أن تعمد ، قصداً أو اتفاقاً ، إلى التضحية بناحية من الناحيتين التي يرغب في التوفيق بينهما . اما ابن رشد فقد ضَحَّى بالشريعة، لأنه جعلها شريعتين، اذ إضطر أن يقول بأن الشرع ظاهر وباطن، لكل منهما أهله. وسبب ذلك أن الناس مختلفون في الفطر والعقول . (ص ٤٠) .... » ومن أجل ذلك يقسم فيلسوف قرطبة الناس ثلاث طوائف : الخطابيون وهم الكثرة الغالبة السهلة الاقتناع التي تصدق بالأدلة الخطابية ، وأهل الجدل — ومنهم المتكلمون — الذين ارتفعوا حقًّا عن العامة ولكنهم لم يصلوا لمرتبة أهل البرهان الحقيقي ، والبرهانيون بطبائعهم المواتية وبالحكمة التي راضوا عقولهم عليها وأخذوا أنفسهم بها » (ص ٤١) ..... وتقسيم ابن رشد هذا تقسيم اجتهاديّ قد يستطيع أي انسان أن يجادله فيه بالتي هي أحسن وبالتي هي أسوأ ، مادام أن التقسيم اختياري لا ضابط له ولا قانون يحكمه ، لا من جهة العقل ولا جهة النقل

***

اما إذا أردنا أن نسوق القول في هذا النقد فنتناول كل ما عنّ لنا فيه من رأي لاحتجنا الى الكثير من الوقت والفراغ . ولكن حسبنا أن نكون بهذا قد عثرنا على مفتاح « ابن رشد » . وفي الكتاب مواضع عديدة تؤيد مذهبنا الذي نذهب إليه قد يعثر عليها القارىء الناقد بسهولة فلا داعي لنقلها هنا . ولا شك عندي في أن هذا الكتاب جديرٌ بالبحث والدرس ، وإن مؤلفه الفاضل ليستحق على ما بذل فيه من جهد أطيب الثناء .

بوشكين

أمير شعراء روسيا

تأليف نجاتي صدقي — مطبعة المعارف — ١٣٤ صفحة من القطع الصغير

كانت المكتبة العربية لا تسمع عن أدباء الروس إلاّ قليلاً : ولا تعرف عنهم إلاّ أقل من القليل ، على حين تَمُوجُ تلك المكتبة ذاتها بأسماء كثيرة في الأدبين الانجليزي والفرنسي .

وعلة ذلك يسيرة: فقد مكّن اتصال الشرق العربي بانجلترة وفرنسة من معرفة لغتي القوم ودراستهما والترجمة عنهما والتأثر بأدبهما الى حد نرى أثره واضحاً في انتاجنا الحديث .

أما الروس فقد كان دون الوصول الى ثقافتهم أهوال ... فاللغة مجهولة ، والطريق إليهم نائية . ومذهبهم الجديد أراب فيهم الظنون فقطع ما بينهم وبين غيرهم .

ولا شك أن هذه القطيعة زادت من جهلنا بأدب القوم وزادت من تخلفنا عن متابعة لون من الأدب له في العالم الواسع مكانته وقدره .

وهذا تخلف ما كان يجيزه جهلنا باللغة الروسية : فان كثيراً من روائعها قد ترجم الى الانجليزية والفرنسية . فكان من السهل أن يترجم إلى العربية . حتى يتيح ذلك للأدب العربي المعاصر اطلاعاً واسعاً على ألوان شتى من الثقافة الاوربية .

والتقريب بين البلاد المتباينة ليس من عمل السياسيين أو الدبلوماسيين وحدهم . فقد يكون للأدباء من ذلك حظ عظيم . فحين يترجم أديب عربي لشاعر روسي مثلاً فانه لاشك يمهد طريقاً للتعارف الانساني بين بلاده وبلد المترجَم له وتلك من خُطى التقارب بين الشعوب .

على أنك لو نظرت إلى المسألة من وجهة الأدب المحض لوجدت من العيب أن تجهل أمة أدب أمة : وأن تقف إحداها من الأخرى بمنعزل بعيد ....

وفي الأدب الروسي — على قدر ما أعلم — روح انساني وفيه عاطفة بشرية وفيه حيوية انعكست على موقف الروس في دفاعهم المجيد عن أرضهم الحبيبة .

ولقد أتاحت الظروف لشاب عربي أن يتعلم الروسية في وطنها . وأن يظفر من أدبها بنصيب يجعله حريصاً على نقل أطايبه إلى لغته العربية . وفي ذلك الصنيع وفاء من ناحيتين: وفاء الكاتب لعربيته ، ووفاؤه للغة ثقافته . وما أجمل الوفاء من الأدباء ...

بدأ الأستاذ نجاتي صدقي — من أدباء فلسطين — بتعريف الشاعر الروسي بوشكين الى قراء العربية تعريفاً يلقي اضواء ساطعة على هذا الشاعر الذي لم تظفر المكتبة العربية قبل ذلك بترجمة مفصلة لحياته . وإذا كان بوشكين يقول في قصيدته « التمثال » (سيجتاز صيتي روسيا العظمى . وسيذكرني فيها كل لسان كائن : من صقلبي وفنلندي ومن تونقوزي وكالميكي !) فان الأستاذ نجاتي صدقي يحق له أن يفتخر بأنه جعل صيت بوشكين يجتاز حدود الروسيا الى كل صقع عربي سيقع فيه حتماً هذا الكتاب .

ولما كانت حياة بوشكين تتصل بتاريخ روسيا القيصرية في القرن التاسع عشر فان الأستاذ نجاتي استطاع ان يعرض حياة القيصرية في ذلك العهد عرضاً يجعل القارىء على بينة من حياة الشعب وحياة البلاط . وهما حياتان كان من الضروري أن يظهر في خلالهما شاعر مثل بوشكين استطاع أن يحس آلام الشعب واستطاع ان يرى بعينيه حياة البلاط وأن يسمع في أبهائها أنغام الترف والشبع على حساب أنات الجوع والحرمان ...

ولقد وفق المؤلف في تصوير نفسية بوشكين تصويراً يشيع في النفس الأبية الممتنعة أجمل معاني الأباء والكرامة البشرية . والمؤلف لا يدع ظاهرة من ظواهر الكرامة والحرية عند بوشكين الاّ جلاها في ثوب أنيق فيه من الايحاء ما هو خليق بالكاتب الكريم . فهذا الشاعر الحر تفرض عليه وظيفة صغيرة تحت سلطان الكونت فورونتشوف المتكبر المتعجرف المزور من صلف . ولكن بوشكين نفسه نفس حرٍّ ترى المذلة كفراً . فيقابل سلطان المتعجرف بكرامة الكريم ، وهنا تصطدم الكبرياء الكاذبة مع الحرية الأصيلة . وهنا تظهر نذالة الموظف الكبير مع الموظف الصغير ... ولكن بوشكين يقف موقف الرجل بما تحمله الكلمة من معانٍ .

ويثور الرئيس الصلف فيرسل الشاعر الموظف في حملة لمقاومة الجراد ويكلفه كتابة تقرير عن مهمته ... كما يفعل الرؤساء المتعجرفون مع أباة الضيم في ذلك الزمان ، وفي زماننا هذا . وفي كل زمن ومكان ... ولكن بوشكين يذهب في الحملة ويكتب التقرير في هذه الكلمات : « طارت الجرادة ثم هبطت ، ثم طارت ثم هبطت ، ثم أكلت ، ثم طارت ! ... مع الاحترام . بوشكين »

***

وحياة بوشكين في هذا الكتاب النفيس هي قصة الأباء المنيع يجري في تاريخ شاعر لم يعرف الذلة في حياته القصيرة ولم يرد أن يعترف بها . فهو ثائر على الأرض وثائر على السماء ... ولقد كان هيّناً على بوشكين أن يصادف العيش المريء لو انه كان يسعى للعيش الدنيء . وما أشبهه في ذلك بامرىء القيس أمير الشعر العربي القديم حيث يقول .

ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة   كفاني – ولم أطلب – قليل من المال

ختم المؤلف كتابه بقصيدتين من شعر بوشكين احداهما « النبي » والأخرى « الطلسم » ولو أنه أطال مدى الاختيار لأمتع القراء بكثير من شعر بوشكين ، وهو شعر لم يُتح لكثير من قراء العربية أن يعرفوه ، وقصيدتان من شعر شاعر كانت حياته كلها غناءً وأنيناً

لا تكفيان للتعريف بأدبه . ولعلَّ المؤلف يتدارك ذلك فيما هو بسبيله من تعريفنا بالأدب الروسيّ والأدباء الروس في ثمراته المقبلة .

ولقد ازدحم الكتاب بأعلام روسية كثيرة لم يَدَعْها المؤلف من غير تعريف بها . فجعل في ذيل الكتاب فهرساً بها وعرَّفها الى القراء في ايجاز تعريفاً ينشر الضوء على مواقعها . والحق أن الكتاب ليس تاريخاً لشاعر فحسب ، ولكنه تاريخ موجز شائق لحياة روسيا في الثلث الأول من القرن التاسع عشر .

ولم يسلم الكتاب — على العناية بطبعه في دار المعارف — من أخطاء مطبعية كثيرة لم نتعودها من هذه الدار التي عُرفت باتقانها ودقتها . وليس بعذر أن الكتاب الشهري الصغير تخرجه العجلة على هذه الصورة . فنحن نقرأ مجموعة فلاماريون Flammarion الفرنسية المسلسلة ومجموعة The Kings Treasuries الانجليزية فلا نجد فيها خطأً واحداً .

والحق أن النفس العربية الظامئة الى الحرية في عالم لا تصح فيه الحياة إلاّ للأحرار لتستقبل هذا الكتاب وهي مشتاقة الى الحرية التي هي من أصول الطبع العربي .

ولقد أنصف الاستاذ نجاتي صدقي حين استهل انتاجه الأدبي بهذه الصفحات المنطوية على كثير من مبادىء الحرية الانسانية عند شاعر حر كبير . فنهنئه بما أخرج وننتظر من عمله الجديد في عالم الأدب الروسي خيراً كثيراً .

محمد عبد الغني حسن

• كتاب الاغاني • تأليف أبي الفرج الاصفهاني

٢٠ × ٢٨ سم ٤٨٧ ص دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٣٨

صدر الجزء الحادي عشر من كتاب الأغاني الجليل الحافل بعد ارتقاب طويل كاد يورث اليأس في نفوس المقبلين على عيون الأدب العربي القديم . وفي هذا الجزء اخبار النابغة ونسبه والحارث بن حلزة وعمرو بن كلثوم وأوس بن حجر وعائشة بنت طلحة وعمرو بن شاس والاقيشر واعشى بني تغلب وابي النضير والعبلي وأبي جلدة وحلوية ثم ذكر اتصال الجهال بين جرير والأخطل ، ومقتل زهير بن جذيمة ، ومقتل خالد بن جعفر ، وخبر الحارث وعمرو بن الاطنابة ، وتوبة بن الحمير مع ليلى وذكر فضله . ويلي ذلك المصادر المختلفة التي عودتنا دار الكتب وضعها وضعاً محكماً .

باب الأخبار العلمية

من معجزات العلوم والفنون

كيف تدور محركات قاذفات القنابل

تتسنى ادارة محركات القلاع الطائرة بكباس هوائي تربيني ايجابي اخترع لهذه الغاية . وهو يدار باطلاق غازات المحرك ، وهذا الكباس هو الذي يكبس الهواء القليل الكثافة في مخزن الهواء حيث يمزج بالبنزين . وعند ما تحين الفرصة للبنزين ، يتحوّل بالحرارة تحولاً وئيداً ، غازاً في الفنطاس ، وذلك في المرتفعات الشاهقة .

قاذفات القنابل طراز B — ١٧ E

وقاذفات القنابل التي من طراز بوينج الجديد الموسوم برقم B ١٧ E هي من أحدث النماذج وأكبرها حجماً وأشدها فتكاً بأعدائها . وقد بذت سابقاتها من النماذج . بل هي الأنماط التي تقوم بانتاجها بالجملة مصانع أميركا . وفي سقف جسم كل منها وقعره برجان قويان للمدافع الصغيرة وبرج آخر في ذنبها . وسطوح ذنبها واسعة جداً قصد زيادة توازنها كطائرات الركاب .

التجارب الارضية تغني عن الجوية

وتقوم مصانع بوينج ودوجلاس وغيرهما من المصانع بمقدار كبير من مباحثها الخاصة بالطبقة الطخرورية الجوية (١) وذلك على سطح الأرض حقيقة ، إذ أن التجربة الوحيدة الجوية لطيران قاذفة القنابل التي من نوع القلاع الطائرة تبلغ نفقاتها زهاء ألف ريال في كل ساعة من زمن طيرانها الاختباري . ولهذا السبب تستغني الشركات عن التجارب الجوية بالتجارب الأرضية بأن تستخدم حجراً كبيرة للضغط يفرغ منها الهواء تفريغاً مساوياً له تقريباً في الطبقات العليا من الجو ، حيث تستطيع ادارة الشركة توليد ضغط صناعي منخفض يعادل ما يوجد في ارتفاع ٦٠٠٠٠ قدم في

---

(١) طبقة جوية عليا متساوية الحرارة يتفاوت ارتفاعها في المنطقة المعتدلة من ٦ الى ٨ أميال ويبلغ علوها في المنطقة الاستوائية ١١ ميلا . وفي المنطقتين القطبيتين ٤ أميال . وتقع تحتها طبقتان هما تروبوسفير وتروبوبوز

الجو . وفي وسعها أيضاً تبريد الحجر الى درجة ٧٠ تحت الصفر أو أقل منها . وقد أنشأ مصنع بوينج لذلك الغرض حجرة تشمل برودة الطبقة الطخرورية وحالتها الجوية ، مبطنة بغلاف من الفلين ثخانته ١٢ بوصة ، حيث يتاح خفض الضغط والحرارة الى درجتهما في الارتفاع المنشود تماماً .

قاعة التبريد وحجرة الضغط

ومما يجدر ذكره أن قاعة التبريد التي أنشأتها شركة بوينج بلغت من الرحابة مبلغاً يتاح فيه تجربة جهاز القيادة لمجموعة ذنب طائرة بحجمه الطبيعي . وفي قاعة دوجلاس الخاصة بالتبريد ، يرتدي عمال المباحث ثياباً من جلود الخيل مبطنة بالصوف ، تعلوها خوذ من معدن الاليومينيم ، ذات نوافذ من البلكسي جلاس (١) لا يغشاها الضباب حيث يزودون بتليفونات داخلية. واجتناباً لتعرض العمال للاصابة بالالتهاب الرئوي ، تراهم يتنفسون هواءً مدفئاً بأجسامهم أي بالزفير الذي يخرج من أنوفهم ، ثم يتبدد من الصمامات التي في الخوذ التي تعلو رؤوسهم ولا يسمح لأي طيار منهم باختباره منفرداً في الصندوق الثلجي حيث تنخفض درجة حرارته تحت الصفر ، بل يعين له رقيب ليراقبه دائماً عن كثب وذلك من خارج تلك القاعة القارة عن طريق نافذة زجاجية مؤلفة من أربعة ألواح يعلو بعضها بعضاً ، وهذا إلى جانب مواصلة دراسة كيفية تأثر المواد التي تصنع منها القلاع الطائرة حينما تتوغل في طبقات السماء .

وما زالت المباحث دائرة أيضاً في أحوال الطيارين وطرق وقايتهم من الاخطار الجوية حيث لا بدَّ لهم من استنشاق الاكسيجين فان هم تركوا نوافذ الطائرة مفتوحة لكي يديروا منها مدافعهم ، فلا مناص لهم من لبس الثياب والقفافيز المدفأة بالكهربية لأن الطيار حينما يبلغ ارتفاع ٣٠٠٠٠ قدم عن سطح الأرض ، يفقد رشده في أقل من دقيقة واحدة ، هذا إذا حرم من الأوكسيجين . وإن حصل عليه حينئذٍ أخذ يتألم من ضعف الضغط الجوي . ولذلك يحتاج الطيارون بغية القيام بأعمالهم على ما يرام عند صعودهم الى علو ٣٥٠٠٠ قدم أو ما يزيد عليها ، الى بعض أنواع الضغط الصناعي . ولعلَّ حجرة الضغط التي تستعملها عابرات الجو التي من طراز بوينج أصلح حل لهذه المعضلة . ومع ذلك فثمة عقدة أخرى هي خطر انخفاض ضغط الهواء بغتة عندما ينشق جسم الطائرة بضربة تصيبها من عدوها .

عوض جندي

---

(١) البلكسي جلاس plexiglass ـ ألواح لتغطية مصابيح هبوط الطائرات ، ومقاعد الطيارين وحجب القيادة ونوافذ الطائرات وأبراج مدافعها وذلك لخفة هذه المادة (التي هي من العجائن الكيميائية) ثم لمقاومتها للريح ولشفوفها . وهي عامل خطير لتيسير الرؤية والبلاكسي جلاس من طائفة الصموغ الصناعية .

أقمشة غير منسوجة

من أخبار العلم الاميركية أن القوات الاميركية المسلّحة تستهلك نوعاً جديداً ممتازاً من الأقمشة إسمه «ماسلين» Masslin وهو قماش غير منسوج يمكن انتاجه بعمل عجينة من تيلة القطن ومزجها بسائلٍ لزج (لا يزال يُعدُّ سرًّا من أسرار الحرب) واتباع نظام يشبه إلى حدٍّ كبير النظام المتبع في صناعة الورق بآلاتٍ تشبه آلات هذه الصناعة. والأقمشة الناتجة عن هذه العملية، علاوة على كونها متينة ملساء، فإنها خفيفة الوزن إذ تزن القطعة التي طولها ١٤ ياردة إلى ١٦ ياردة رطلاً واحداً. وهي مع ذلك رخيصة لدرجة تبعث على الدهشة، سهلة التعقيم، تتشرّب السوائل بدرجةٍ عالية، وتصبح وهي مبللة أمتن منها وهي جافة.

ولما كان إنتاج هذا النوع من الأقمشة أسرع من انتاج الأقمشة المنسوجة وأيسر منها، وكانت خالية من المسامّ والفتحات، فقد أصبحت تتفوّق على جميع انواع الملابس المضادة للحوامض والحرائق والمواد الكيميائية الملتهبة. و «للماسلين» مستقبل مضمون، غير أن انتفاع الأهلين به رهين بانتهاء الحرب.

عصر العجائن

أصبح منتجو السيارات في الولايات المتحدة الأميركية يعتقدون أن سيارات المستقبل سوف تصنع من العجائن لأنها أخف وزناً وأكثر صلابة وأزهد قيمة وأجمل شكلاً من السيارات المعدنيّة. والعجائن — كما يفهم من اسمها — تصنع من تيلة القطن أو لبّ الخشب أو الحشائش والأعشاب ويسهل تلوينها وتشكيلها تحت تأثير الضغط في قوالب خاصة. (١) وتمتلك شركة فورد للسيارات في الوقت الحالي امتياز إنتاج هياكل للسيارات من العجائن. ويمكن الحصول على العجائن حالياً دون نَصَبٍ لأن مخلفات صناعة الورق وعيدان الذرة وكيزانها وتبن القمح والشعير ونشارة الخشب أصبحت اليوم أساساً لعجائن ذات مستقبل مضمون النجاح. كما أن مخلفات المدابغ أصبحت تُعدُّ أساساً لنوع جديد من العجائن أثارت مميزاته الجمة اغتباط العلماء وترحيبهم.

وسيصبح في الامكان إنتاج طائرات مصنوعة هياكلها من العجائن لأن التجارب التي أجريت على هذا النوع من الطائرات نجحت نجاحاً باهراً وسيصبح من الميسور أيضاً إنتاج عدسات القراءة وزجاج النظارات الطبية غير القابلة للكسر من العجائن. وحتى الصحف أمكن طباعتها بواسطة حروف طباعة مصنوعة من العجائن كما أمكن إنتاج الأقمشة وصحاف المائدة وعدد لا يحصى من الأدوات التي نستعملها في حياتنا اليومية من العجائن الكيميائية.

وديع فلسطين

---

(١) راجع مقال «العجائن» للاستاذ أمين ابراهيم كحيل. مقتطف يونيو ١٩٤٤

فهرس الجزء الخامس

من المجلد السادس بعد المائة

٤٢١ المشكلة الاقتصادية الكبرى : فؤاد صروف
٤٢٧ الخبز : فهمي عطا الله
٤٢٨ إذا (قصيدة) للشاعر رديارد كبلنج ، نظم محمد سعيد العامودي
٤٢٩ عالم المجهول : اسماعيل مظهر
٤٣٤ عن جزر الوشيان
٤٣٥ اصلاح الخط العربي : دكتور متى عقراوي
٤٤٣ تحقيق كتاب من نسب الى أمه من الشعراء : عبد السلام محمد هارون
٤٥٤ فيلسوف العرب والمعلم الثاني
٤٥٧ جنة الشوك
٤٦١ الزمان الوجودي
٤٦٢ المرأة والمجتمع : دكتور ابرهيم ناجي
٤٦٧ الاتحاد القومي : داؤه وأدواؤه : ادوار مرقص
٤٧٠ إعداد الفرد لتأسيس مجتمع صالح : منصور رجب
٤٧٤ ذوقوا فتنتكم
٤٧٦ عقدة التربية : احمد لطفي السيد باشا
٤٧٧ الانجليزية الأساسية : سلامه موسى
٤٨١ الاتجاه الحضاري لديمقراطية الغد : صلاح الدين الشريف

٤٩١ مكتبة المقتطف * ابن رشد الفيلسوف . بوشكين امير الشعراء : لمحمد عبد الغني حسن . كتاب الاغاني .
٥٠١ باب الاخبار العلمية * كيف تدور محركات قاذفات القنابل . قاذفات القنابل طراز E ١٧ — B . التجارب الارضية تغني عن الجوية . قاعة التبريد وحجرة الضغط : عوض جندي . أقمشة غير منسوجة . عصر العجائن : وديع فلسطين